الباب الثالث

أبو حيان الأندلسي وكتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب

أ. أبو حيان الأندلسي

1. سيرة موجزة عن حياته ومكانته العلمية

الشيخ الإمام الحافظ العلامة فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الأثري الجيّاني النفزي ثم المصري الظاهري ثم المغربي المالكي ثم الشافعي، والنفزي نسبة إلى نفزة بكسر النون أو فتحها، وهي قبيلة من البربر نحوى عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقريه ومؤرخه وأديبه.

ولد بمطخشارش مدينة من حضيرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة[1] وأجمع المؤرخون على مولده في هذه السنة، إلا أن ابن قاضي شهبة ذكر أنه ولد سنة اثنين وخمسين وستمائة أو أربع وخمسين وستمائة[2]. والراجح ما جاء عليه الإجماع كالصفدي والسيوطي.

UIN IMAM BONJOL PADANG

[1] صلاح الدين الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1998)، ج. 5، ص. 325

[2] ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تحقيق : الحافظ عبد العليم خان، (بيروت: – عالم الكتب، 1407هـ)، ط.1، ج. 3، ص.67

ولقد عرف بكنيته الشهيرة " أبي حيان" ويرجع هذا اللقب الشهير إلى ولده حيان أما الأندلسي فنسبة إلى موطنه الكبير بلاد الأندلس ، وأما الغرناطي فنسبة إلى مدينة غرناطة التي نشأ وترعرع بها وهي إحدى مدن الأندلس وأما الجياني فهي نسبة إلى مدينة جَيّان إحدى مدن الأندلس الوسطى[3]. وأما تلقيبه بالنفزي فنسبة إلى قبيلة نِفزة، وهي إحدى قبائل البربر وواضح أن تلقيبه بالمصري نسبة إلى مصر التي رحل إليها ، والظاهري نسبة إلى العقيدة الظاهرية التي اعتقد بها، أما ما أورده ابن تغري بردي من مغربي مالكي ثم شافعي[4]، فالأولى نسبةً إلى المغرب العربي الكبير الذي يضم الأندلس ، والمالكي ثم الشافعي فهي المذاهب التي تمذهب بها وخير ترجمة وقفت عليها لأبي حيان ما أورده الصفدي في كتابه أعيان العصر، فأورد له ترجمة كاملة بل رثاه بأشعار كثيرة غاية في الصدق كما وصف هيئته كما عاينها فقال فيه" كان حسن العمة مليح الوجه ، ظاهر اللون مشرباً بحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها، لم تكن كثّة عبارته فصيحة بلغة الأندلس، يعقد القاف قريباً من الكاف على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة .وسمعته يقول :ما في هذه البلاد من يعقد

UIN IMAM BONJOL PADANG

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر،1977)، ج. 2، ص. 195

[4] جمال الدين بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق : محمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية،1992)، ط. 1، ج. 10، ص. 91

حرف القاف[5]". وصفه ابن الخطيب ب"شيخ المشايخ"[6]، وجاء وصفه في نفح الطيب "بشيخ النحاة في الديار المصرية"[7]، ووصفه الصفدي – في كتابه أعيان العصر" -بحجة العرب ومالك أزمة الأدب"[8]، وقال عنه الإمام الذهبي" ترجمان العرب ولسان أهل الأدب"[9]، وقال عنه ابن حجر العسقلاني: "الإمام المطلق في النحو[10]"، وكناه الزركلي" برأس العربية".[11]

إذا كان أبو حيان قد ولد في مدينة مَطخشارش التابعة لغرناطة ، إلا أنه لم يقطن بها كثيرا، كما لم يقطن كثيرا بالأندلس بشكل عام بل ولّى وجهه – منذ شبابه – شطر المشرق العربي سنة 678 هـ، فتجول كثيرا في هذه البلاد إلى أن استقر به المقام بالقاهرة، واختلف المؤرخون في سبب تركه لبلاد الأندلس فقد أورد السيوطي أنه فرّ من السلطان إذ خشي بطشه بعد أن كذّب الأستاذ أبا جعفر بن الزبير فرُفع أمره إلى السلطان فتوعده،

UIN IMAM BONJOL PADANG

[5] صلاح الدين الصفدي، المرجع السابق، ج. 5، ص.332

[6] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف الطويل، (بيروت : دار الكتب العلمية، 2003)، ط. 1 ، ج. 3، ص. 28

[7] أحمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1388 هـ)، ج. 2، ص. 535

[8] صلاح الدين الصفدي، المرجع السابق، ج. 5، ص. 325

[9] أبو المحاسن الدمشقي، ذيل تذكرة الحفاظ، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)، ط. 1 ، ج. 1 ، ص. 23

[10] أحمد بن علي العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثمانية ، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، (الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1972)، ج. 6، ص. 58

[11] شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء ، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993)، ط. 9 ، ج. 7، ص. 250

فركب أبو حيان البحر ولحق بالمشرق أو أنه خشي أن يكرهه السلطان على تعليم الطلاب المنطق والفلسفة والرياضة.[12]

وكان أبو حيان رحمه الله تعالى مليح الوجه، مشربا بحمرة، كبير اللحية، منور الشيبة، مسترسل الشعر فيها، عبارته فصيحة، كثير الضحك والانبساط، بعيدا عن الانقباض، جيّد الكلام، حسن اللقاء، جميل المؤانسة، فصيح الكلام، طلق اللسان، وكان مهيبا، جهوريا في الحديث، مليح الحديث لا يملّ وإن طال، وكان طيب النفس، كثير الخشوع والتلاوة والعبادة[13]، رقيق النفس، يبكي إذا سمع القرآن الكريم. اجتهد في طلب العلم وتحصيله، وبذل في سبيل ذلك وقته وعمره وزهرة شبابه، وقد تلقى العلم على عدد كبير من خيرة علماء عصره، وحصّل الإجازات العلمية من عدد منهم. وها هو يقول في هذا المضمون: "وجملة ما سمعت من الشيوخ نحو أربعمائة شخص وخمسين. وأما الذين أجازوني فعالم كثير جدّا من أهل غرناطة، ومالقة، وسبتة، وديار افريقية، وديار مصر، والحجاز، والعراق والشام".[14]

UIN IMAM BONJOL PADANG

[12] محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ، (بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ)، ج. 2، ص. 289

[13] محمد سالم محيسن، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، (بيروت: دار الجيل، 1992)، ط. 1، ص. 137

[14] نفس المرجع، ص. 138

لم يختلف أبو حيان عن كثير من أقرانه من حيث بدايته العلمية، إذ إنه بدأ بتعلم القرآن الكريم والحديث الشريف واللغة وأشعار العرب، وفي ذلك يقول ابن خلدون : "وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعلم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلاَّ أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأساسه، ومنبع الدين والعلوم، جعلوه أصلاً في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجويد الخط والكتاب".[15]

إن أول رافد من روافد ثقافة أبي حيان هو القرآن الكريم ، وقد أخذ القراءات عن أبي جعفر الطباع[16]، تؤكد معظم المصادر أن أبا حيان تلقى علومه الأولى في مدينة غرناطة، وأول علم تلقاه في هذه المدينة قراءة القرآن على عدد من العلماء والشيوخ، منهم: الخطيب أبو محمد عبد الحق بن علي الذي قرأ عليه أكثر من عشرين ختمة إفرادًا وجمعًا، والخطيب الحافظ أبو جعفر أحمد الغرناطي المعروف بغرناطة، و قرأ السبعة إلى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص بمالقة.[17]

UIN IMAM BONJOL PADANG

---

[15] ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة بن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، (دمشق: دار يعرب، 2004)، ط. 1، ج. 2، ص. 353

[16] جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1965)، ج. 1، ص. 280

[17] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان الماءة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، (مصر: دار الكتب الحديثة، 1966)، ج. 4، ص. 302 – 303

ومن الملاحظ أنه كان مهتمًا بتحصيل العلوم الشرعية، وخاصةً علم القراءات منذ صغره، وكان يقرأ على أكثر من شيخ؛ لكي يتلقى العلوم من أكثر من عالم حتى يصل إلى درجة عالية من العلم، وكان حريصًا على أن تكون معلوماته وعلومه منوعة من كافة العلماء، لذلك أخذ بالانتقال من مكانٍ لآخر لتحصيل العلوم والاستفادة من العلماء المشهورين أينما كانوا حتى وصل به المطاف إلى مصر في ذلك العصر، ولما قدم الإسكندرية قرأ القراءات على عبد النصير بن علي المربوطي، وقرأ في مصر أيضًا على أبي طاهر إسماعيل بن عبد الله المليجي خاتمة أبي الجود ولازم بها الشيخ بهاء الدين ابن النحاس فسمع عليه الكثير من كتب الأدب.[18]

وقد كان للبيئة العلمية في غرناطة أثر واضح في صقل شخصيته العلمية؛ لما كانت تحفل به من المدارس العلمية المختلفة التي تصدرها شيوخ أفذاذ في الحديث واللغة والأدب، فقد كانت تمثل مركزًا ثقافيًا علميًا وحضاريًا هامًا؛ لذلك تربى أبو حيان على حب العلم والعلماء وهو في مقتبل عمره، ومما يدل على ذلك ما قاله في كتابه البحر المحيط:" وما زلت من لدن ميزت أتلمذ للعلماء، وانحاز للفقهاء وأرغب في مجالسهم وأنافس في نفاسهم، أسلك طريقهم واتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام، ولا أتوقل إلا ذروة علام، فكم

[18] نفس المرجع

UIN IMAM BONJOL PADANG

صدر أودعت علمه صدري، وصبر أفنيت في فوائده صبري، وإمام كثرت به الإلمام وعلام أطلت معه الاستعلام أشنف المسامع بما تحسد عليه الظلال، وأكرع في حياض صافية السلسال واقتبس بها من أنوارهم، واقتطف من أزهارهم وأتبلج في صفحاتهم وأتأرجح في نفحاتهم، وألقط من نثارهم من فضالة إيثارهم وأقيد من شواردهم وأنتقي من فرائدهم".[19]

هذه المقولة التي أوردها أبو حيان تؤكد لنا شغفه في تحصيل العلم على مختلف الظروف، وتفضيله للعلماء والفقهاء ومصاحبته لهم، فطريقه واحدٌة رسمها لنفسه بالتنقل من عالم لآخر، وأخذه العلوم من صدورهم وتدوينها في صدره، وكان كثير الإلمام بالمصادر والمعلومات، وجمع كثيراً منها وقد كان ينتقي أصدق المعلومات وأصفاها بعد التحقق والتدبر والتفكير؛ للوصول إلى صحة المعلومة وترجيحها على المعلومات الأخرى، فكان يلتقط المعلومة ويوظفها؛ لخدمة علمه ولم يحصر نفسه في علم واحد، وإنما كان يحاول الحصول على أي علم يراه مفيدًا له في حياته سواء أكان هذا العلم نثرًا أم شعرًا أم نحوًا أم فقهًا أم غير ذلك من العلوم، فشخص مثل هذا لم يكن همه وشغله إلا تجميع العلوم وتحصيلها، وهذه

UIN IMAM BONJOL PADANG

[19] أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وأصدقاؤه، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993)، ط. 1، ج. 1، ص. 101

النشأة مكنت أبا حيان ليكون أحد أبرز العلماء في عصره سواء في الأندلس أم في مصر أم في أي بلد نزل به.

وقد وضح لنا طريقته في تحصيل العلم وبين كيف كان يقضي معظم أوقاته في تحصيل العلوم، يقول موضحًا ذلك: " فجعلت العلم بالنهار سعيري وبالليل سميري زمان غيري يقصر ساريه على اللهو. وأنا أتوسد أبواب العلماء وأتقصد أماثل الفقهاء وأسهر في حنادس الظلام، وأصبر على شظف الأيام وأوثر العلم على الأهل والمال والولد وأرتحل من بلد إلى بلد".[20]

وكان أبو حيان منصبًا على تحصيل العلم، فليله ونهاره كان بعيدًا عن اللهو، وخاصة في أيام الصبا والشباب، فكان مقصده أبواب العلماء وقد فضل العلم على أي شيء في الدنيا من أهل أو مال أو ولد، وكان كثير الترحال في طلب العلم، ينتقل من بلد إلى بلد ومن مكان لآخر.

فهذه الصفات في نقل العلم، والحصول على المعرفة هي التي مكنت أبا حيان ليكون فريد عصره، وحجة في العلم، كما كان يصفه علماء عصره أو من جاء بعده من العلماء، وما زال علمه حاضرًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو بحر ينهل منه الإنسان في كل

[20] نفس المرجع

UIN IMAM BONJOL PADANG

مكان وزمان، دون كلل أو ملل في شتى العلوم من نحوها أو فقهها أو تفسيرها أو شعرها أو غيرها من العلوم.

أما المرحلة الثانية التي أثرت في تكوين ثقافته، فهي رحيله إلى مصر التي وجد فيها ما كان يتمناه من العلم والعلماء، كما كانت مصر تزخر بالعديد من المدارس، وشهدت في عصر المماليك حركة أدبية نشيطة، وانتشر التأليف انتشاراً عظيماً، ولم يطل المقام بأبي حيان في الأندلس فغادرها سنة 678 من الهجرة ضاربا في عرض البلاد وطولها حتى استقر المقام في القاهرة عاصمة المماليك البحرية.[21]

وقد ذكر المؤرخون أن خروج أبي حيان من الأندلس كان للأسباب الآتية:

أولها : أنه نشأ خلاف بينه وبين شيخه أحمد بن علي بن الطباع[22]، وقيل بينه وبين اثنين من شيوخه هما ابن الطباع وابن الزبير[23]، فألف أبو حيان كتابا سماه "الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع"، فرفع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن نصر الفقيه، وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه، فنشأ الخلاف عن ذلك وانتصر السلطان لابن الطباع وأمر

UIN IMAM BONJOL PADANG

[21] خديجة الحديثي، أبو حيان النحوي، (بغداد: مكتبة النهضة، 1966)، ط. 1، ص. 33

[22] ابن العماد شهاب الدين العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، (دمشق: دار ابن كثير، 1992)، ط. 1، ج. 6، ص. 146

[23] محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، ج. 2، ص. 289

بإحضار أبي حيان وتنكيله، فاختفى ثم جاز البحر مختفيا ولحق بالمشرق إلى أن حل بالديار المصرية.[24]

ثانيها : أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضي والطبيعي قال للسلطان: إني قد كبرت وأخاف أن أموت فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم لينفعوا السلطان من بعدي، فأشير إلى أبي حيان أن يكون من هؤلاء، ويرتب له راتب جيد وكسا وإحسان فتمنع ورحل مخافة أن يكره على ذلك[25]، وذكر السيوطي أنه رأى في كتاب "النضار" لأبي حيان ذكر هذا السبب لخروجه من الأندلس.[26]

ثالثها : الجري على عادة أهل الأندلس في الارتحال إلى المشرق للالتقاء بعلمائه، ولعل هذه الدوافع الثلاثة اجتمعت وحملت أبا حيان على الرحيل والخروج من الأندلس[27]. وأبو حيان مع تركه للأندلس ورحيله عنها إلا أنه لم ينسها وهي موطنه الأول، فكان يذكرها ويذكر أهلها مدافعا عن أخلاقهم في تفسيره، وكان يستشهد ببعض الحوادث التي حدثت في بلاد الأندلس على عهده.[28]

UIN IMAM BONJOL PADANG

---

[24] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان الماءة الثامنة، ج. 5، ص. 71

[25] ابن العماد شهاب الدين العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج. 6، ص. 146

[26] جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج. 1، ص. 281

[27] خديجة الحديثي، أبو حيان النحوي، ص. 32 – 33

[28] انظر أبا حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج. 3، ص. 264

فهذه البيئة العلمية التي وجدها أبو حيان ساهمت إلى حدٍ كبير في انجازاته العلمية والأدبية، وقد وصفها لنا في مقدمة البحر المحيط قائلا: " حتى ألقيت بمصر عصا التسيار، وقلت: ما بعد عبادان من دار، هذه مشارق الأرض ومغاربها وبها طوالع شموسها وغواربها مة الإسلام، وبها صنفت تصانيفي، وألفت تأليفي، ومن بركاتها علي تصنيفي لهذا الكتاب".[29]

فأصبح أبو حيان مدرسًا للتفسير سنة (٧١٠ هـ) في قبة السلطان المنصور في زمن دولة السلطان القاهر الملك الناصر يقول في ذلك: "وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد، وذلك بانتصابي مدرسًا في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور قدس الله مرقده، وبل بحزن الرحمة معهده".[30]

ونلاحظ أن أبا حيان قد بلغ من التوقير والتبجيل لدى السلاطين والأمراء على جهوده العلمية والأدبية، وكانت مصر البداية الواسعة التي انطلق من خلالها للإبحار في شتى العلوم والمعارف ناهلا من علمائها وشيوخها وشعرائها.

UIN IMAM BONJOL PADANG

[29] خديجة الحديثي، أبو حيان النحوي، ص. 101

[30] نفس المرجع، ص. 100

ومن أجل تحقيق القدرة على تفسير القرآن الكريم تبحر صاحبنا في شتى العلوم، فجسد بذلك موسوعة علمية أهلته أن يكون نعم المفسر ، ونعم النحوي صاحب الفكر المستقل حتى عن قدماء النحاة ، فمن المعلوم أنه بعلم النحو تعرف الأحكام التي للكلمة العربية من جهة إفرادها، ومن جهة تركيبها، وبعلم اللغة تعرف معاني الأسماء، والأفعال التي لا يفهم المقصود من كلام الله وألفاظه إلا بمعرفته والاطلاع عليه، وبعلم الحديث يتعين المبهم، ويتبين المجمل، وسبب النزول والنسخ، وبأصول الفقه يعرف الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه ذلك، وبعلم الكلام يُعرف ما يجوز على الله تعالى. فنحن إذن إزاء عالم كان النحو أحد علومه ، لكنه متمكن منه ممسك بزمامه، فيمكنه أن يقبل من العلماء أو يرد أو يضعف، فأصبح علماً بارزاً بين أعلام عصره.

UIN IMAM BONJOL
PADANG

عُرف أبو حيّان بأنه ظاهري المذهب وذلك أثناء إقامته في الأندلس بل تعصب للمذهب الظاهري ، قال ابن حجر: " كان أبو حيان يقول : محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه"[31]. وبعد رحيله إلى المشرق تمذهب بالمذهب الشافعي، فيقول تلميذه

[31] جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج. 1، ص. 281

الصفدي: " وكان أولاً يرى رأي الظاهرية، ثم إنه تمذهب للشافعي – رضي الله عنه –، فحفظ مختصر المنهاج للنووي وحفظ المنهاج إلا يسيرا ".[32]

وعندما قدم إلى مصر، ورأى المذهب الظاهري مهجوراً فيها تمذهب للشافعي بل وتعصب له، وتظهر شافعيته واضحة جليّة من خلال تفسيره البحر المحيط، كما ذكر الصفدي أنه كان خالياً من الفلسفة والاعتزال والتجسيم[33]، فهو صاحب عقيدة صافية سليمة. كان ينتقد بشدة أصحاب الكلام والفلسفة والاعتزال – ولعل ذلك سبب مخالفته للفراء –. كما عرف بتعصبه للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال الصفدي: " قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : "وجرى على مذهب كثير من النحويين في تعصّبه للإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – التعصّب المتين قال : حُكي لي أنه قال لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة إن علياً – رضي الله عنه – عهد إليه النبي أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق أتراه ما صدق في هذا؟ فقال :صدق، قال : فقلت له :فالذين سلّوا السيوف في وجهه، يبغضونه أو يحبونه؟ ".[34]

UIN IMAM BONJOL PADANG

[32] صلاح الدين الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج. 5، ص. 332
[33] نفس المرجع، ص. 333
[34] نفس المرجع، ج. 2، ص. 473

واهتم أبو حيان باللغة العربية اهتماماً بالغا، فأكب على دراستها وحفظ أشعارها فيقول" : وقد حفظت في علم اللغة الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني واللغات المحتوي عليها دواوين مشاهير العرب الستة :امرئ القيس، والنابغة، وعلقمة، وزهير، وطرفة، وعنترة، وديوان الأفوه الأودي ، فحفظت عن ظهر قلب هذه الدواوين ، وحفظت كثيراً من اللغات المحتوى عليها، نحو الثلث من كتاب الحماسة، واللغات التي تضمنتها قصائد مختارة من شعر حبيب بن أوس".[35]

يتبين بجلاء ووضوح مكانة أبي حيان العلمية والاجتماعية حيث كان وحيد عصره في القراءات ، والتفسير ، والفقه ، والنحو ، والأدب ، والحديث ، والتصنيف.كل هذه الأمور جعلت العلماء يتنافسون في الثناء عليه. يقول تلميذه الصفدي: أبو حيان إمام الدنيا في النحو والتصريف، وله اليد الطولى في التفسير ، والحديث ، والشروط ، والفروع ، وتراجم الناس وتواريخهم ، وحوادثهم ، وقد قيد أسماؤهم على ما يتلفظون به من إمالة وتفخيم ، كل ذلك قد جوّده ، وحرّره ، وقيده. ثم يقول: وقد اشتهر اسمه وطار صيته ، وأخذ عنه أكابر الناس، وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وقرئت ودربت ونسخت.[36]

UIN IMAM BONJOL PADANG

[35] أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج. 1، ص. 30

[36] محمد سالم محيسن، المرجع السابق، ص. 157

والحقيقة أن أبا حيان قد زهد في أخريات حياته في النحو، فأخذ يدعو إلى الفقه واعتناق المذهب الشافعي إذ يقول:

غُذّيتُ بِعِلمِ النَّحْوِ إذْ دَرَّ لي ثَدْيَا فَجِسْمِي بِهِ يُنْمَى ورُوحِي بِهِ تَحْيَا

وَقَدْ طَالَ تِضْرَابِي لِزيْدٍ و عَمْرِهِ وَمَا اقْتَرَفَا ذَنْباً ولا تَبِعَا غَيَّا

وَمَا نِلْتُ من ضَرْبِيهِما غيرَ شهرةٍ بفنٍّ وما يُجدي اشتهاري يه شيّا

أَلَا إنَّ عِلْمَ النّحْوِ قَدْ بَادَ بِأَهْلِهِ فما إنْ تَرى في الحَيِّ منْ بَعْدِهِمْ حَيَّا

سَأَتْرُكُهُ تَرْكَ الغَزَالِ لِظِلِّهِ وَأُتْبِعُهُ هَجْراً وأُوْسِعُهُ نَئْيا

وَأَسْمُو إلى الفِقْهِ المُبَارَكِ لِيُرْضَيَكَ في الأُخْرى وَيُحْظِيكَ في الدُّنْيَا

هَلِ الفِقْهُ إلا أَصْلُ دِينِ مُحَمَّدٍ فَجَرِّدْ لَهُ عَزْمَاً وجدِّدْ لَهُ سَعْيَا

وَكُنْ تَابِعاً للشَّافِعيِّ وَسَالِكاً طَرِيقَتُهُ تَبْلُغْ بِهِ الغَايَةَ القُصْيَا[37]

وقد احتلّ أبو حيان الكثير من المناصب العلمية الكثيرة منها: أنه عيّن مدرسا للنحو في جامع الحاكم سنة 704 هـ. وفي سنة 710 هـ. عين مدرسا للتفسير في قبة السلطان الملك المنصور في عهد السلطان القاهر الملك الناصر. كما تولى منصب الإقراء

[37] ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج. 6، ص. 36

UIN IMAM BONJOL PADANG

بجامع الأقمر، ودرّس التفسير بالجامع الطولوني، ثم أضيف إليه مشيخة الحديث بالقبة المنصورية، فباشر هذه الوظائف كلها حتى مات.[38]

وبعد نحو قرن من الزمان غاب نجم شيخ النحاة في الأندلس –الإمام أبو حيان الأندلسي عن الدنيا على أن نجمه لم يغب عن العلم والعلماء ؛ فما خلفه من ميراث علمي سواء في علوم الدين أو علوم اللغة والنحو والتصريف جعل ذكراه تصدح في الخافقين إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها. وروى الشوكاني أنه قد" أضر قبل موته بقليل[39]" أي أصابه العمى" وقد توفي بعد أن أًصابته حمى قاسية فمات من يومه".[40]

وقد اختلف في تاريخ وفاته فقال ابن حجر" وكان قد حصلت له أول النهار حمى فصبر إلى أن صلى الظهر بالجامع ثم جاء إلى بيته فصلى العصر بالمدرسة ثم دخل البيت فوقع ميتا في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة 752 رحمة الله[41]". ويجمع عدد من العلماء كالصفدي والسيوطي وعبد الحي الحنبلي والشوكاني أنه قد توفاه الله في صفر سنة 745 خمس وأربعين وسبعمائة[42]، وقد شاء الله عز وجل أن يدفن بعيداً عن مسقط رأسه، فقد

UIN IMAM BONJOL PADANG

[38] محمد سالم محيسن، المرجع السابق، ص. 160

[39] محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، ج. 2، ص. 279

[40] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان الماءة الثامنة، ج. 5، ص. 26

[41] نفس المرجع

[42] محمد بن علي الشوكاني، المرجع السابق، ج. 2، ص. 280

دفن بمقبرة الصوفية بمصر[43] خارج باب النصر وصُلى عليه في الجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب[44] رحمه الله رحمة واسعة، ورثاه تلميذه الصفدي بقصيدة مطولة اخترت منها :

مَاتَ أَثِيرُ الدِّينِ شَيْخُ الوَرَى فَاسْتَعَرَ البَارِقُ وَاسْتَعْبَرا

يَا عَيْنُ جُودِي بِالدُّمُوعِ التي يُرْوَى بها ما ضَمَّهُ مِنَ ثَرَى

وَأجري دَمَاً فَالخَطْبُ في شَأْنِهِ قَدِ اقْتَضَى أَكْثَرَ مِمَّا جرى

إنْ ماتَ فَالذِكرُ لَهُ خَالدٌ يَحْيَا بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْشَرا[45]

2. شيوخه وتلاميذه

اجتهد أبو حيان في طلب العلم وتحصيله، وبذل في سبيل ذلك وقته وعمره وزهرة شبابه حتى قطف ثمرة ذلك من حيازة لعلوم كثيرة ووصول إلى أرقى المناصب العلمية في زمنه.

قد سمع أبو حيان وتلقى عن عدد كبير جدا من أهل العلم في زمنه وحصل الإجازات من عدد أكبر، وها هو يقول : " وجملة من سمعت منهم نحو أربعمائة شخص وخمسين، وأما الذين أجازوني فعالم كبير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار إفريقية

[43] ابن العماد شهاب الدين العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج. 6، ص. 145

[44] أحمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج. 2، ص. 537

[45] جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج. 1، ص. 283 ـ 284

UIN IMAM BONJOL PADANG

وديار مصر والحجاز والعراق والشام"[46]. وقال في موضع آخر : " وجملة من سمعت منه خمسمائة، والمجيزون أكثر من ألف"[47]. وقال الصفدي : " بلغ عدة شيوخه أربعمائة، وأجاز له جمع جمّ وقد جمعهم في كتاب : "البيان في شيوخ أبي حيان" فبلغوا ألفا وخمسمائة"[48]. وذكر أبو حيان في إجازته للصفدي عددا من شيوخه بلغ عددهم خمسين.[49]

قال الشوكاني" : إن عدة من أخذ عنه أربعمائة وخمسون شخصا وأما من أجاز له فكثير جدا[50]". وهذا عدد كبير جدا من العلماء والأساتذة الذين تتلمذ أبو حيان عليهم ولكننا نورد هنا عددا موجزا من أهم هؤلاء الأعلام.[51]

فمن العلماء الذين أخذ عنهم أبو حيان التفسير:

1) ابن الزبير أحمد بن إبراهيم ، أبو جعفر الأندلسي الحافظ ، كان علامة عصره في الحديث ، والقراءة ت 708 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

---

[46] أحمد التلمساني، المرجع السابق، ج. 2، ص. 552

[47] نفس المرجع، ج. 2، ص. 560

[48] صلاح الدين الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج. 5، ص. 325

[49] أحمد التلمساني، المرجع السابق، ج. 2، ص. 549

[50] محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، ج. 2، ص. 279

[51] أنظر هذا البيان إلى: محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، ج. 2، ص.288، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج. 5، ص.70 – 74، أحمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج. 2، ص. 535 – 550، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج. 3، ص. 28 – 44، ابن العماد شهاب الدين العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج. 6، ص. 145، جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج. 1، ص. 283 – 284، محمد سالم محيسن، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، (بيروت: دار الجيل، 1992)، ط. 1، ص. 138 – 145، خديجة الحديثي، أبو حيان النحوي، ص. 69 – 72

2) ابن أبي الأحوص، الحسين بن عبد العزيز بن محمد القرشي الأندلسي، قاضي مالقة وشيخ الإقراء بها ت 680 هـ.

3) وعلي بن أحمد بن عبد الواحد، أبو الحسن المقدسي ت 690 هـ.

4) ومحمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين، أبو عبد الله البلخي، المعروف بابن النقيب ت 698 هـ.

5) ومحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع ، أبو الحسين ، ت 741 هـ.

كما أخذ أبو حيان القراءات القرآنية عن عدد من العلماء منهم :

1) أحمد ابن سعد بن علي بن محمد الأنصاري، أبو جعفر من غرناطة ، كان كثير الإتقان في تجويد القرآن ت 712 هـ.

2) ابن الطبّاع : أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى ابو جعفر الرعيني ، الأندلسي شيخ القراء بغرناطة. وقد ولي القضاء مكرها ، فحكم مرة واحدة ثم عزل نفسه ت 680 هـ.

3) ابن أبي الأحوص : قال أبو حيان رحلت إليه قصدا من غرناطة إلى مالقة لأجل الإتقان والتجويد، وقرأت عليه القرآن من أوله إلى آخر سورة الحجر جمعا بالسبعة ،

UIN IMAM BONJOL PADANG

والادغام الكبير "لأبي عمرو" بمضمن "التيسير، والتبصرة، والكافي، والاقناع"، وقرأت عليه حروف القراءات من كتب شتى، كما قرأت عليه كتابه: الترشيد في التجويد.

4) المليجي : إسماعيل بن هبة الله بن علي ، فخر الدين أبو طاهر المصري، المقرئ، مسند القراء في زمانه ت 605 هـ.

5) إبراهيم الأهوازي، وخليل بن عثمان المراغي، قرأ عليه أبو حيان كتاب الإرشاد لأبي العز القلانسي.

6) عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري ، قرأ عليه أبو حيان القراءات السبع نحو عشرين ختمة إفرادا وجمعا، ولازمه نحو سبعة أعوام.

7) عبد الله بن محمد بن هارون بن عبد العزيز بن إسماعيل الطائي الأندلسي، القرطبي، أبو محمد ت 702 هـ.

8) عبد النصير بن علي بن يحيى بن إسماعيل بن مخلوف أبو محمد المريوطي، أحد شيوخ الإقراء بالإسكندرية.

وقال أبو حيان : "قرأت القرآن بالقراءات الثمان، بثغر الإسكندرية على الشيخ الصالح: رشيد الدين أبي محمد: عبد النصير بن علي بن يحيى الهمداني، عرف بابن المريوطي".

UIN IMAM BONJOL PADANG

9) علي بن ظهير بن شهاب، نور الدين أبو الحسن المصري، المعروف بابن الكفتي إمام مقرئ، روى عنه أبو حيان.

10) محمد بن صالح بن أحمد بن محمد أبو عبد الله الكتاني الشاطبي المعروف بابن دحيمة، أعلى الناس إسنادا بالشاطبية.

11) محمد بن علي بن يوسف، رضي الدين، أبو عبد الله الأنصاري الشاطبي، إمام مقرئ، كان عالي الإسناد، روى عنه القراءة أبو حيان.

12) يعقوب بن بدران بن منصور أبو يوسف الدمشقي ثم المصري المعروف بالجرائدي، إمام مقرئ، كان شيخ وقته بالديار المصرية ، قرأ عليه أبو حيان كتاب "الإرشاد لأبي العز" ت 688 هـ.

13) يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن عتاب، أبو يعقوب الشاطبي، استوطن تونس، قرأ عليه أبو حيان.

كما أخذ أبو حيان النحو وعلوم اللغة عن عدد من خيرة العلماء منهم :

1) أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد، أبو جعفر، المالقي النحوي

2) أحمد ابن يوسف بن علي أبو جعفر الفهري، روى عنه أبو حيان كتاب سيبويه.

UIN IMAM BONJOL PADANG

3) رضيّ الدين، أبو بكر بن عمر بن علي بن سالم، الإمام النحوي، كان من كبار أئمة العربية بالقاهرة مع العلم بالفقه والحديث ت 695 هـ.

4) ابن النحاس : محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الحلبي شيخ العربية بمصر في وقته، سمع منه أبو حيان كتاب سيبويه، والإيضاح والتكملة لأبي علي الفارسي، والمفصّل للزمخشري ت 698 هـ.

كما أخذ أبو حيان حديث الهادي البشير صلى الله عليه وسلم عن خيرة العلماء وفي مقدمتهم:

1) ابن أبي الأحوص، روى عنه أبو حيان الحديث بسنده.

2) ابن الزبير، تلقى عليه أبو حيان سند الترمذي بين قراءة وسماع بغرناطة.

3) ابن الطباع، قرأ عليه أبو حيان الموطأ للإمام مالك بن أنس.

4) عبد الرحمن الربعي قرأ عليه أبو حيان سنن أبي داود بغرناطة.

5) عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن الخطيب أبو الفضل، قرأ عليه أبو حيان سنن أبي داود بالقاهرة.

6) ابن عساكر : عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الله.

UIN IMAM BONJOL PADANG

7) عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف أبو محمد الدمياطي، أخذ عنه أبو حيان الحديث، وأجازه ت 705 هـ.

8) عبد الوهاب بن حسن بن الفرات، صفيّ الدين، قرأ عليه أبو حيان بعض أجزاء في الحديث بالإسكندرية.

9) أبو العز : عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصقيل. قال أبو حيان قرأت البخاري على جماعة أقدمهم إسنادا فيه أبو العز قرأته عليه.

10) محمد بن إبراهيم بن حازم المازني أبو عبد الله المصري ت 692 هـ.

11) محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن قطب الدين القسطلاني أبو بكر القيسي الشاطبي، وكان شيخا عالما زاهدا كريم النفس، وكان عالما بالحديث ورجاله ت 686 هـ.

UIN IMAM BONJOL
PADANG

12) محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيّد نجيب الدين الهمداني، روى عنه أبو حيان الحديث.

13) محمد بن إسماعيل بن عبد الله، زين العابدين أبو بكر الأنماطي، قرأ عليه أبو حيان جزءا في الحديث.

14) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، تقي الدين أبو الفتح بن دقيق العيد القشيري.

كان إماما محدثا فقيها، أصوليا أديبا نحويا، مجتهدا روى عنه أبو حيان بعض الأحاديث.

كما أخذ أبو حيان الفقه وأصوله عن عدد من العلماء وفي مقدمتهم :

1) ابن الزبير، قرأ عليه أبو حيان المستصفى للغزالي، والإشارة للباجي، وشيئا من أصول الدين والمنطق.

2) عبد الكريم بن عليّ بن عمر الأنصاري، علم الدين العراقي ت 704 هـ قال أبو حيان : وبحثت ايضا في هذا الفن على الشيخ علم الدين عبد الكريم الأنصاري في مختصره الذي اختصره من كتاب المحصول كما قرأ عليه كتاب المحرر للرافعي وكتاب المنهاج للنووي.

3) علي بن محمد بن خطاب الباجي، علاء الدين الشافعي، كان من علماء أصول الفقه، وكان قويّ المناظرة ت 714 هـ. ذكره أبو حيان أنه بحث على الشيخ الباجي في مختصره الذي اختصره من كتاب المحصول.

UIN IMAM BONJOL
PADANG

4) فضل بن محمد بن علي بن إبراهيم، أبو الحسن المعافري الخطيب. قال أبو حيان : وقد بحثت في فن أصول الفقه في كتاب الإشارة لأبي الوليد الباجي، على الشيخ الأصولي الأديب، أبي الحسن فضل بن إبراهيم المعافري الإمام بجامع غرناطة.

5) محمد بن سلطان بدر الدين البغدادي، قرأ عليه أبو حيان من كتاب الإرشاد للعميدي في الخلاف.

6) محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني، شمس الدين أبو عبد الله الأصبهاني انتهت إليه الرئاسة في أصول الفقه وله معرفة جيدة بالنحو والأدب ت 688 هـ. قال أبو حيان : وقد بحثت في فن أصول الفقه على الشيخ شمس الدين الأصبهاني صاحب شرح المحصول. بحثت عليه في كتاب القواعد من تأليفه.

UIN IMAM BONJOL PADANG

كما أخذ أبو حيان الأدب عن عدد من العلماء، وفي مقدمتهم :

1) أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن جامع العزازي، اشتغل بالأدب ومهر وفاق أقرانه، سمع منه الفضلاء، وكتب عنه الكبراء سمع منه أبو حيان من نظمه. وله في الموشحات يد طولى، ت بالقاهرة سنة 710 هـ.

2) أحمد بن نصر الله بن باتكين القاهري، كان أديبا فاضلا، كتب عنه الفضلاء ت 710 هـ.

3) بهاء الدين بن النحاس ، سمع منه أبو حيان الحماسة وديوان المتنبي والمعري، وقال : لم ألق أحدا أكثر سماعا لكتب الأدب من الشيخ بهاء الدين.

4) سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ياسين العابدي، أبو الربيع التلمساني المعروف بالعفيف التلمساني، شاعر مشارك في النحو والأدب والفقه والأصول ت 690 هـ.

5) عمر بن محمد بن أبي علي سراج الدين أبو حفص الوراق المصري، شاعر وأديب مشهور، له ديوان شعر كبير. وكان حسن التنحيل جيد المقاصد صحيح المعاني عذب التركيب ت 695 هـ.

6) مالك بن عبد الرحمن بن علي أبو الحكم بن المرحّل المالقي النحوي، أديب زمانه بالمغرب، وإمام وقته، نعت بشاعر المغرب، كان رقيقا، سريع البديهة ت 699 هـ.

7) محمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الله، أبو عبد الله الهذلي التطيلي.

8) محمد بن سعيد بن محمد بن حماد بن محسن، الصنهاجي البوصيري، شرف الدين شاعر حسن وهو صاحب البردة الشهيرة، والقصيدة الهمزية التي أولها : كيف ترقى رقيك الأنبياء. ت 696 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

9) محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف أبو عبد الله الأنصاري المصري، كان مقدما على شعراء عصره، مع مشاركة في كثير من العلوم ت 685 هـ.

10) محمد بن عمر بن جبير المالقي، ومحمد بن محمد بن عيسى بن ذي النون الأنصاري، جمال الدين أبو عبد الله المالقي ت 680 هـ.

11) يحيى بن عبد العظيم بن يحيى، جمال الدين أبو الحسن الأنصاري المصري، شاعر ظريف، وكان جزارا بالفسطاط ت 679 هـ.

ومن شيوخ أبي حيان أيضا : أحمد بن علي بن خالص، أبو العباس الأنصاري الإشبيلي، وإسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك البغدادي، وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب البغدادي القواس، والحسين ابن أبي المنصور بن ظافر الخزرجي، صفيّ الدين، وعبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عبد العليّ السكري، وعبد العزيز بن عبد القادر بن إسماعيل الصالحي الكتابي، وعبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التميمي، وعليّ بن صالح ابن أبي علي بن يحيى بن إسماعيل الحسيني البهنسي.

UIN IMAM BONJOL PADANG

تصدر أبو حيان للتعليم بعد أن اخذ شهرة عظيمة، وأقبل عليه طلاب العلم من كل مكان يأخذون عنه شتى العلوم : القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، وعلوم اللغة[52]، فمن الذين أخذوا عن ابن حيان القراءات والتفسير:

1) إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن التنوخي الدمشقي نزيل القاهرة، أخذ عن أبي حيان القراءات العشر.

2) إبراهيم بن أحمد بن عيسى، بدر الدين بن الخشاب القاضي المصري، قرأ على أبي حيان القراءات السبع. ت 774 هـ.

3) إبراهيم بن عبد الله بن علي بن يحيى بن خلف المقرئ، شيخ الإقراء بالديار المصرية، ومن الذين لازموا درس أبي حيان ت 749 هـ.

4) أحمد الحنبلي شيخ آمد، رحل إلى مصر، وقرأ للسبعة على أبي حيان. قال ابن الجزري : لم يزل يبلغنا خبره إلى بعد 770 هـ.

5) أحمد بن عبد العزيز بن يوسف الحراني، شهاب الدين بن المرحّل. قرأ على أبي حيان، توفي بحلب سنة 788 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

[52] أنظر هذا البيان كاملا في المصادر السابقة

6) ابن مكتوم : أحمد بن عبد القادر بن أحمد، تاج الدين أبو محمد الحنفي لازم أبا حيان دهرا طويلا ، وقرأ عليه القرآن.

7) أحمد بن علي بن أحمد أبو جعفر الحميري الغرناطي، قرأ على أبي حيان بالقاهرة، ثم رجع إلى غرناطة، وعيّن لمشيخة الإقراء بغرناطة ت 756 هـ.

8) أحمد بن محمد بن محمد بن علي الأصبحي الأندلسي، شهاب الدين أبو العباس، لزم أبا حيان وحمل عنه كثيرا من العلوم، وقرأ عليه القراءات الثمان، وأخذ عنه كتاب التسهيل ت 776 هـ.

9) أحمد بن يحيى بن نحلة المعروف بسبط السلعوس أبو العباس، النابلسي ثم الدمشقي، قرأ على أبي حيان قراءة عاصم ت 732 هـ.

10) السمين : أحمد بن يوسف بن عبد الدائم شهاب الدين الحلبي المعروف بالسمين، قرأ على أبي حيان وسمع منه كثيرا ت 756 هـ.

11) أبو بكر بن أيدغدي بن عبد الله الشمس، الشهير بابن الجندي، شيخ الإقراء بمصر، قرأ على أبي حيان بالقراءات الثمان ت 769 هـ.

12) حيان بن محمد بن يوسف بن علي بن أبي حيان، قرأ على والده وقد أجازه والده أبو حيان إجازة عامة.

UIN IMAM BONJOL PADANG

13) الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ولد في صفد بفلسطين سنة 696 هـ واشتهر بالأدب والتاريخ والفقه، وولي وكالة بيت المال بدمشق ت 764 هـ. وكان الصفدي يجلّ أبا حيان كثيرا، وكذلك كان أبو حيان يقدّره وقد تلقى الصفدي على أبي حيان الكثير من العلوم.

14) صالح بن محمد المقيري ، قرأ على أبي حيان.

15) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن خليل بن إبراهيم، العسقلاني. يعرف عند المحدثين بابن خليل. قرأ على أبي حيّان القراءات السبع ، وأخذ عنه العربية. ت 777 هـ.

16) محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن جامع الدمشقي، شمس الدين ابن اللبان المقرئ، قرأ على أبي حيان القراءات الثمان بمضمن قصيدتيه اللاميتين في السبع وقراءة يعقوب. ولّي مشيخة الإقراء بالديار الأشرفية وبجامع التوبة وبالجامع الأموي ت 776 هـ.

17) ابن مرزوق : محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو عبد الله التلمساني. سمع بمصر من أبي حيان وقرأ عليه، وروى عنه مؤلفات ابن أبي الأحوص وحدثه بسنن أبي داود والنسائي والموطأ، وقد مهر في العربية والأصول والأدب ت 781 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

18) محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن علي أبو الفتح السبكي، قرأ على أبي حيان القراءات السبع، ولازمه في العربية سبعة عشر عاما، ت 744 هـ.

19) محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي، أبو المحاسن، كان ضرير البصر وقد أجازه أبو حيان مروياته بخطه ت 765 هـ.

20) محمد بن علي بن محمد بن عبد الكافي بن ضرغام، أبو عبد الله البكري الحنفي المعروف بابن سكّر، نزيل مكة المكرمة. قرأ على أبي حيان القراءات الثمان.

21) محمد بن محمد بن علي، شمس الدين أبو عبد الله الغماري المصري المالكي النحوي، أخذ العربية والقراءات عن أبي حيان ت 749 هـ.

كما تتلمذ على أبي حيان في علوم اللغة العربية عدد كبير وفي مقدمتهم:

1) السفاقسي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم، برهان الدين أبو إسحاق القيسي المالكي ت 742 هـ.

2) ء الدين السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام، أبو حامد السبكي. ولي التدريس وبعض وظائف أخرى، كما ولي خطابة الجامع الطولوني، ثم تدريس التفسير فيه بعد الأسنوي. وكان بهاء الدين يجلّ شيخه أبا حيان وقد نقل عنه كثيرا في كتابه عروس الأفراح ت بمكة المكرمة سنة 773 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

3) أحمد بن لؤلؤ الرومي، شهاب الدين بن النقيب، أخذ العربية من أبي حيان ومهر في الفنون، وعمل تصحيح المهذب ونكت المنهاج، وكان وقورا ساكنا خاشعا قانعا. كما كان عالما بالفقه والقراءات والتفسير والأصول والنحو ت 769 هـ.

4) أحمد بن محمد بن عبد المعطي، أبو العباس، مهر في العربية، وأخذ عن أبي حيان، وانتفع به أهل مكة، وكان ثقة ثبتا ت 788 هـ.

5) أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي، صاحب كتاب المصباح المنير، أخذ العربية عن أبي حيان وقد مهر وتميّز في العربية ت 770 هـ.

6) أحمد بن يحيى بن فضل الله بن دعجان القرشي، درس على أبي حيان الأدب، ت 749 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

7) المرادي : الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي النحوي اللغوي الفقيه، كان إماما في العربية والقراءات، أخذ العربية عن عدد من العلماء منهم أبو حيان، من مؤلفاته : شرح المفصل لابن يعيش، وشرح ألفية ابن مالك، والجني الداني في حروف المعاني، وشرح التسهيل، وقد اهتم فيه بنقل آراء أبي حيان دون تعصب له، وكان يختم الخلاف في المسألة في أكثر الأحيان برأي أبي حيان ت 749 هـ.

8) الإسنوي : عبد الرحيم بن الحسن بن علي، جمال الدين أبو محمد، نزيل القاهرة وأخذ العلم عن أبي حيان صغيرا. وقد برع في العربية وانتهت إليه رئاسة الشافعية، وازدحم عليه طلبة العلم وكثر تلاميذه وانتفعوا به ت 772 هـ. من مؤلفاته : طبقات الشافعية ، وشرح المنهاج في الفقه وغير ذلك.

9) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن صخر الكناني، الشافعي درس النحو على أبي حيان وروى عنه كثيرا ت 767 هـ.

10) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي العقيلي الهمداني الأصل المصري، قاضي القضاة. لازم أبا حيان وكان من أجلّ تلاميذه، قال فيه أبو حيان : "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل". من مؤلفاته شرحه على ألفية ابن مالك في النحو، وهو الشرح المشهور المتداول بين الطلاب والدارسين، المعروف بشرح "ابن عقيل" ت 769 هـ.

11) عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن هلال، شرف الدين أبو محمد القيراطي، قرأ العربية على أبي حيان ت 739 هـ.

12) ابن هشام : عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، جمال الدين الحنبلي، ولد سنة 780 هـ. قرأ على أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمى،

UIN IMAM BONJOL PADANG

وكان ابن هشام شديد المخالفة لاستاذه أبي حيان وحفلت مصنفاته بالردّ على أبي حيان مثل "مغني اللبيب" و"شرح اللمعة البدرية" ت ابن هشام سنة 761 هـ.

13) تاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، أبو نصر ابن تقيّ الدين السبكي، ولد سنة 727 هـ. وأخذ النحو عن أبي حيان وقد أثنى على أستاذه كثيرا في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى. ومما قال عنه : "ما رأيت بعد أبي حيان انحى منه" ، ت 771 هـ.

14) علي بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن مهدي الفوّيّ نور الدين، سمع من أبي حيان وكان ماهرا في العربية، ت 782 . أو 786 هـ.

15) علي بن بلبان الفارسي، الأمير علاء الدين الحنفي. قرأ النحو على أبي حيان وأتقنه ت 739 هـ.

16) تقي الدين السبكي، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام، أبو الحسن ، الفقيه الشافعي، المفسر الحافظ، الأصولي، النحوي، اللغوي. ولد سنة 683 هـ. قرأ على أبي حيان النحو، وولي قضاء الشام بعد جلال الدين القزويني وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، وكان محققا بارعا، صنف نحو مائة وخمسين كتابا مطولا ومختصرات بمصر سنة 756 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

17) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ، شيخ الإسلام، سراج الدين، أبو حفص البلقيني الكناني، مجتهد عصره، أخذ النحو عن أبي حيان وبرع في الفقه والحديث والأصول، انتهت إليه رئاسة المذهب والإفتاء، ت 805 هـ.

18) محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن قدامة المقدسي الحنبلي، شمس الدين ، ولد سنة 705 هـ. وله مناقشات لأبي حيان فيما اعترض به على ابن مالك في الألفية. ت 744 هـ.

19) محمد بن أرغون، ناصر الدين ابن نائب السلطنة في مصر، ولي نيابة السلطنة في حلب، قرأ على أبي حيان العربية. ت بحلب سنة 727 هـ.

20) محمد عبد الرحمن بن علي الزمردي، شمس الدين ابن الصائغ الحنفي النحوي، أخذ عن أبي حيان وغيره ، وبرع في اللغة والنحو والفقه، ت 776 هـ.

21) محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى أبو أمامة المصري أخذ العربية عن أبي حيان ت 763 هـ.

22) ناظر الجيش : محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي، ولد سنة 697 هـ. ثم قدم القاهرة ولازم أبا حيان وجلال الدين القزويني، كان له في الحساب اليد الطولى ثم ولي نظارة الجيش ت 778 هـ. من مؤلفاته : شرح التسهيل امتدح في

UIN IMAM BONJOL PADANG

مقدمته أبا حيان وله في ثنايا الكتاب ردود على أبي حيان في اعتراضاته على ابن مالك.

وهناك عدد من الذين تتلمذوا على أبي حيان إلا أن المصادر لم تحدّد نوع المادة العلمية التي أخذوها عن أبي حيان. وفي مقدمة هؤلاء:

1) أحمد بن سعد بن محمد، أبو العباس العسكري، أخذ عن أبي حيان، وكان شيخ العربية بدمشق في زمانه، من مؤلفاته شرح التسهيل ت 750 هـ.

2) أحمد بن عبد الرحيم البعلبكي ثم الدمشقي، شهاب الدين المعروف بابن النقيب أخذ عن أبي حيان بمصر ت 764 هـ.

3) أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي، أبو جعفر الأندلسي التقى بأبي حيان في القاهرة وأخذ عنه ت 779 هـ.

4) إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن هانئ اللخمي الغرناطي المالكي، ولد بغرناطة، ثم قدم القاهرة وتلقى عن أبي حيان ت 771 هـ.

5) الأمير أرغون بن عبد الله الناصري، نائب السلطنة أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، سمع صحيح البخاري بقراءة أبي حيان ت 731 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

6) الأدفوي : جعفر بن تغلب بن جعفر بن علي كمال الدين، أبو الفضل الشافعي، أخذ الأدب عن أبي حيان ت 748 هـ.

7) السبكي : الحسين بن علي بن عبد الكافي، جمال الدين أبو الطيب، أخذ العلوم عن الشمس الأصبهاني وأبي حيان ت 755 هـ.

8) خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد، رحل إلى المشرق وحج ثم رحل إلى القاهرة والتقى بأبي حيان، وقرأ عليه بعض مؤلفاته ثم أجازه أبو حيان، ت قبل 780 هـ.

9) سعيد بن محمد بن سعيد المليانى المغربي، المالكي النحوي، رحل من المغرب إلى القاهرة سنة 720 هـ. والتقى بأبي حيان وأخذ عنه ت 770 هـ.

10) عبد الرحمن بن عمر بن حماد بن عبد الله بن ثابت البغدادي الحريري، سمع من أبي حيان بمصر ت 739 هـ.

11) عبد الرحمن بن محمود بن وطاس القوصيّ، مجد الدين، أخذ عن أبي حيان وغيره ت 724 هـ.

12) عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، أجازه أبو حيان ت 749 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

13) علي بن عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي ثم المصري، سمع من أبي حيان، ت 769 هـ.

14) علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح بن إبراهيم تاج الدين التغلبي الشافعي الموصلي المعروف بابن الدريهم. قرأ على أبي حيان بعض تصانيفه ت 762 هـ.

15) محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد ، تاج الدين المراكشي الفقيه الشافعي، تفقه على أبي حيان، ت 652 هـ.

3. مؤلفاته وأقوال العلماء فيه

لقد ترك أبو حيان رحمه الله تعالى للمكتبة الإسلامية والعربية الكثير من المؤلفات النافعة المفيدة، وقد بلغت هذه المصنفات ستة وأربعين كتابا في علوم مختلفة، منها ما هو في القراءات، ومنها ما هو في التفسير، ومنها ما هو في اللغة، والنحو إلى غير ذلك من العلوم. وهذه إشارة إلى بعض مصنفات أبي حيان ليتبيّن من خلال ذلك المكانة السامية التي وصل إليها أبو حيان[53]:

1) تفسير البحر المحيط، وهو في ثمانية مجلدات، وقد طبع عدة مرات.

2) تحفة الأريب بما في القرآن من غريب. وقد طبع عدة مرات.

[53] أنظر هذا البيان كاملا في المصادر السابقة

UIN IMAM BONJOL PADANG

3) النهر الماد من البحر وهو مختصر تفسيره الكبير "البحر المحيط" وقد طبع بهامش البحر، اختصر فيه أبو حيان تفسيره البحر المحيط إلى نحو الربع والذي حمله على هذا الاختصار صعوبة مباحث البحر وطوله.

4) كتاب الأثير في قراءة ابن كثير وهو من الكتب المفقودة.

5) كتاب تقريب النائي في قراءة الكسائي وهو مفقود.

6) كتاب الحلل الحالية في أسانيد القراءات العالية وهو مفقود.

7) كتاب رشح النفع في القراءات السبع وهو مفقود.

8) كتاب الروض الباسم في قراءة عاصم وهو مفقود.

9) كتاب عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي وهي منظومة من القراءات السبع قيل إنها أخصر من الشاطبية وهي بغير رموز ولكنها لم تزل مفقودة.

UIN IMAM BONJOL PADANG

10) كتاب غاية المطلوب في قراءة يعقوب وهو مفقود.

11) كتاب المزن الهامر في قراءة ابن عامر وهو مفقود.

12) كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب، وقد حققه الدكتور مصطفى النحاس لنيل درجة الدكتوراة من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر وقد طبع بالقاهرة.

13) الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء ، وقد طبع ببغداد.

14) التجريد لأحكام سيبويه وهو مفقود.

15) التدريب في تمثيل التقريب، وهو لا زال مخطوطا.

16) التذكرة في العربية، وهو كتاب كبير، ويقع في أربعة مجلدات.

17) التنزيل والتكميل في شرح التسهيل، وهو أضخم كتب أبي حيان النحوية، إذ يقع في عشرة مجلدات كبيرة. وقد طبعت منه قطعة صغيرة سنة 1328 هـ. بمطبعة السعادة بمصر في جزءين صغيرين، ويقوم الآن عدد من طلاب الدراسات العليا بجامعة الأزهر لتحقيق الكتاب كاملا. ولهذا الكتاب قيمة كبيرة لأن أبا حيان أودعه آراءه اللغوية والنحوية والصرفية وآراء المتقدمين.

18) تقريب المقرب، وهو اختصار لكتاب المقرّب في النحو لأبي الحسن علي بن مؤمن الاشبيلي، المعروف بابن عصفور ت669 هـ.

UIN IMAM BONJOL PADANG

19) التنحيل الملخّص من شرح التسهيل وهو مفقود.

20) الشذا في أحكام كذا وهو مفقود.

21) الشذرة الذهبية في علم العربية وهو مفقود.

22) شرح كتاب سيبويه وهو مفقود.

23) شرح تحفة المودود لابن مالك في النحو وهو مفقود.

24) غاية الإحسان في علم اللسان. وهو عبارة عن قواعد لأصول النحو بطريقة سهلة ومبسطة وفقا لمذهب البصريين النحويين،

25) النكت الحسان في شرح غاية الإحسان. وهو شرح لكتابه غاية الإحسان في علم اللسان، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ببغداد. وهو مفقود.

26) القول الفصل في أحكام الفصل.

27) اللمحة البدرية في علم العربية. وقد شرحه جماعة منهم ابن هشام بكتاب سمّاه "شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية".

28) المبدع في التصريف، وهو اختصار لكتاب الممتع في التصريف لابن عصفور، وقد طبع الكتابان.

UIN IMAM BONJOL
PADANG

29) معاني الحروف، وقد كتب سنة 726 هـ.

30) منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك وهو شرح لألفية ابن مالك في النحو والصرف.

31) الموفور من شرح ابن عصفور، كتب سنة 746 هـ.

32) ية الإغراب في علمي التصريف والإعراب، وهو رجز وقد نقل عنه السيوطي أبياتا في كتابه الأشباه والنظائر. ونهاية الإغراب لم يزل مفقودا.

33) الهداية في النحو

34) الإعلام بأركان الإسلام في الفقه وهو مفقود.

35) الأنوار الأجلى في اختصار المحلى. وهو اختصار لكتاب المحلى في الفقه لأبي محمد علي بن حزم الظاهري ت 456 هـ. وهو من الكتب المفقودة.

36) مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية « ابن رشد ». وهو اختصار لكتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، ت 595 هـ وهو مفقود.

UIN IMAM BONJOL
PADANG

37) الوهاج في اختصار المنهاج.

ومن مؤلفات أبي حيان في الأدب والشعر المصنفات الآتية:

1) الأبيات الوافية في علم القافية منظومة جليلة وهي مفقودة.

2) خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان وهي منظومة مفقودة.

3) ديوان أبي حيان، وهو ديوان شعر أبي حيان، وقد حققه الدكتور أحمد مطلوب، وزوجته الدكتورة « خديجة الحديثي » وتمت طباعته.

هذا هو الشيخ أبو حيان الأندلسي الفاضل المتبحر الجليل في علوم شتى ما يجدر لأي لسان أن يثني عليه ويشكره قديما وحديثا، وقد امتلأت كتب ترجمة أبي حيان بأقوال العلماء في مدحه وفي ذكر علو شأنه ومنزلته وعزارة علمه، وخير ترجمة لأبي حيان ما أورده الصفدي في كتابه أعيان العصر، فأورد له ترجمة كاملة بل رثاه بأشعار كثيرة غاية في الصدق كما وصف هيئته كما عاينها فقال فيه : " كان حسن العمة مليح الوجه ، ظاهر اللون مشرباً بحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها، لم تكن كثّة عبارته فصيحة بلغة الأندلس، يعقد القاف قريباً من الكاف على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة .وسمعته يقول: ما في هذه البلاد من يعقد حرف القاف[54]"، وصفه ابن الخطيب ب"شيخ المشايخ".[55]

وجاء وصفه في نفح الطيب" بشيخ النحاة في الديار المصرية[56]"، ووصفه الصفدي —في كتابه أعيان العصر" – بحجة العرب ومالك أزمة الأدب[57]"، وقال عنه الإمام الذهبي

[54] صلاح الدين الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج. 5، ص. 332
[55] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج. 3، ص. 28
[56] أحمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج. 2، ص. 535
[57] صلاح الدين الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج. 5، ص. 325

UIN IMAM BONJOL PADANG

"ترجمان العرب ولسان أهل الأدب[58]"، وقال عنه ابن حجر العسقلاني" الإمام المطلق في النحو[59] "، وكناه الزركلي" برأس العربية".[60]

ب. كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب

1. لمحة عن كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب

يعد كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب بحق موسوعة نحوية جمع فيها أبو حيان منابع النحو وروافده، وذلك حتى عصره، ولم يقدم لنا هذا الكتاب إلاَّ بعد أن اطلّع على آراء النحاة المتقدمين والمتأخرين، فأفاد منها، فجاء كتابه منطوياً على زبدة آرائه النحوية واللغوية. قال السيوطي متحدثاً عن كتاب ارتشاف الضرب وكتاب التذييل والتكميل،: "ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال، وعليهما اعتمدت في جمع الجوامع".[61]

اختار أبو حيان لكتابه هذا اسما مميزا، فأطلق عليه "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، والارتشاف كما قال ابن منظور هو "تقصي ما في الإناء وارتشافه"[62]، وأما الضرب

---

[58] أبو المحاسن الدمشقي، ذيل تذكرة الحفاظ، ج. 1، ص. 23

[59] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج. 6، ص. 58

[60] شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج. 7، ص. 250

[61] الإمام جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق:عبد العالم سالم مكرم , وعبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية، 1992)، ط. 1، ص. 2.

[62] ابن منظور، لسان العرب، مادة "رشف"، (القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ)، ص. 1651

UIN IMAM BONJOL PADANG

بفتح الضاد والراء فهو "العسل الأبيض الغليظ"[63]، وأما لسان العرب فهو لغتهم العربية الجميلة. يقول أبو حيان في خاتمة مقدمته لكتاب ارتشاف الضرب: "ولما كمل هذا الكتاب خلوا مبانيه من التثبيج والتعقيد، حلوا معانيه للمفيد والمستفيد، سميته "ارتشاف الضرب من لسان العرب".[64]

وقد ذكر أبو حيان أسباب تأليف هذا الكتاب حيث قال :" أما بعد، فإن علم النحو صعب المرام، مستعص على الإفهام، لا ينفذ في معرفته إلا الذهن السليم، والفكر المرتاض المستقيم، وكان من تقدمنا قد انتزع من الكتاب تآليف قليلة الأحكام، عادمة الإتقان والأحكام، يجلها النقد، وينحل منها العقد، وربما أهملوا كثيراً من الأبواب، وأغفلوا ما فيه من الصواب، فتآليفهم تحتاج إلى تثقيف، وتصانيفهم مضطرة إلى تصنيف. ولما كان كتابي المسمى بـ (التذييل والتكميل في شرح التسهيل) قد جمع من هذا العلم ما لا يوجد في كتاب، وفرع بما حازه من تآليف الأصحاب، رأيت أن أجرّد أحكامه عارية إلا في النادر من الاستدلال والتعليل، حاوية لسلامة اللفظ وبيان التمثيل، إذ كان الحكم إذا برز في صورة المثال أغنى الناظرين عن الطلب والسؤال، ونفضت عليه بقية كتبي لأستدرك ما أغفلته من

UIN IMAM BONJOL PADANG

[63] نفس المرجع، مادة "ضرب"، ص. 256

[64] أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998)، تحقيق رجب عثمان محمد، ص. 4

فوائد، وليكون هذا المجرد مختصاً عن ذلك بزوائد، وقربت ما كان منه قاصياً، وذللت ما كان عاصياً، حتى صارت معانيه تدرك بلمح البصر، لا تحتاج إلى إعمال فكر ولا إكداد نظر.[65]

فمن قوله السابق يمكننا أن نستعرض الدواعي التي دعت أبا حيان الأندلسي لتصنيف كتابه هذا ما يلي:

1. عدم اقتناعه بكثير من المصنفات في النحو سواء من علماء عصره أو حتى من سبقه، فهي كتب اعتمدت على كتاب سيبويه ينقصها الشمول والإتقان، فيقول: "وكان من تقدمنا قد انتزع من الكتاب تآليف قليلة الأحكام ... فتآليفهم تحتاج إلى تثقيف، وتصانيفهم مضطرة إلى تصنيف".[66]
2. رأى أن كتابه "التذييل والتكميل في شرح التسهيل" قد اشتمل على كثير من الاستدلال والتعليل، فأراد أن يضع مصنفا يعتمد على التمثيل أكثر من الاستدلال، فنجده يقول: " وبما كان كتابي المسمى ب " التذييل والتكميل في شرح التسهيل" قد جمع من هذا العلم ما لا يوجد في كتاب، وفرع بما حازه من تآليف الأصحاب، رأيت أن أجرد أحكامه عارية إلا في النادر من الاستدلال والتعليل حاوية لسلامة

UIN IMAM BONJOL PADANG

[65] نفس المرجع، ج. 1، ص. 3 – 4
[66] نفس المرجع، ص. 3

اللفظ وبيان التمثيل، إذ كان الحكم إذا برز في صورة المثال أغنى الناظر عن التطلب والتسآؤل".[67]

3. رأى أن كتبه السابقة تنقصها بعض الفوائد فأراد أن يستدرك عليها بهذا الكتاب الجامع فيقول: "ونفضت عليه بقية كتبي لأستدرك ما أغفلته من فوائد، وليكون هذا المجرد مختصا عن ذلك بزوائد، وقربت ما كان منه قاصيا، وذللت ما كان عاصيا، حتى صارت معانيه تدرك بلمح البصر لا تحتاج إلى إعمال فكر ولا إكداد نظر".[68]

وبهذا يتبين لنا ما يدل على أن كتاب ارتشاف الضرب هو إكمال لما غفل أبو حيان عن دكره في كتابه السابق التذييل والتكميل بشكل مبسط لسهولة الفهم للقراء.

ومن حيث المصادر، فمن يطالع على هذا الكتاب يلاحظ بقوة تنوع مصادره، فقد اعتمد أبو حيان على الأعلام التي بلغت جملتهم ما يربو على مائتين من أعلام النحاة واللغة، كما اعتمد على تنوع تخصص المصادر التي اجتمعت وتمالأت لتثمر هذا السفر العظيم مع ذكر أسماء المصادر ما بلغت جملتها ما يزيد على مائة وخمسة وثلاثين كتابا[69]، ومصادره ليس نحوا فحسب، لكنها تنوعت بحيث تضمنت كتب النوادر مثل النوادر لأبي

UIN IMAM BONJOL PADANG

[67] نفس المرجع، ص. 4
[68] نفس المرجع، ص. 4
[69] نفس المرجع، ص. 36

زيد الأنصاري، وكتب الصرف مثل الاستدراك للزبيدي وغيره، وكتب الحروف مثل الحروف لأبي نصر الفارابي، وكتب التراجم والطبقات كطبقات فحول الشعراء لابن سلام، وكتب الشعر مثل التمام لابن جني، وكتب المعاجم مثل العين للخليل بن أحمد والمحكم والمخصص لابن سيده، وكتب القراءات مثل الحجة لأبي علي الفارسي، وكتب إعراب القرآن الكريم ومعانيه مثل معاني القرآن للفراء، وكذلك كتب الحديث كصحيح البخاري، وكتب الخلاف بين النحاة مثل الإنصاف للأنباري، كما ضم كتبا لغوية متخصصة في موضوع واحد مثل الطير التام للسجستاني، كما ضم كتبا بلغات أخرى غير العربية مثل كتاب جلاء الغبش عن لسان الحبش.

أما عن كتب النحو التي اعتمد عليها أبو حيان في تأليفه هذا فيكاد أن يجزم أنه لم يستثن كتابا من كتب النحو المعاصرة أو السابقة له بصريا كان أو كوفيا أو هو في عصره. فقد نقل عن أهم أعلام البصرة مثل سيبويه والخليل والجرمي والمازني والسجستاني والزيادي وقطرب والمبرد والزجاج وغيرهم. ونقل عن أعلام الكوفة مثل الكسائي والأحمر والفراء وثعلب والرؤاسي ومحمد بن حبيب وغيرهم. ونقل عن أعلام المدرسة البغدادية مثل ابن كيسان والزجاجي والفارسي وابن جني وابن قتيبة و الأنباري والعكبري والزمخشري وغيرهم. كما نقل عن أعلام المدرسة الأندلسية كابن مالك وابن عصفور والزبيدي وابن سيده

UIN IMAM BONJOL PADANG

وغيرهم. وكما نقل عن المتأخرين كالجرجاني وابن الدهان وابن الخشاب وغيرهم. فبرجوع أبي حيان إلى هذ الحشد من المراجع والأعلام لا سيما النحوية منها، فقد أخذ هذا الكتاب طابع الموسوعة النحوية التي لا غني لطالب العلم عن الرجوع إليها.[70]

وبالإشارة إلى المصطلحات النحوية التي استعملها أبو حيان في هذا الكتاب فقد ظهر أنه لا يقف كثيرا عند المصطلحات إذا علم وضوحه، فهو يرى أن المفهوم مادام واضحا فلا داعي للإطالة في تفسيره وتوضيحه. ونجد أن معظم المصطلحات النحوية التي استعملها هي مصطلحات بصرية ما يجلينا إلى وجهة نظر أبي حيان إزاء الخلافات البصرية والكوفية التي عرضها في هذا الكتاب.

وبالنسبة إلى ترتيب موضوعات الكتاب فإنا وجدنا أن أبا حيان له خبرة عميقة ودراية واسعة بعلم النحو، كما يدلل على استقلال شخصيته إذ خالف سابقيه من النحاة في عدد من القضايا من حيث الترتيب تبعا لقناعته النفسية، فأخذ يحصر موضوعات الباب الواحد ويجمع بين المتجانس منها. وقد أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة صحة رؤيته وسلامة منهجه. ويمكن الباحث ان يستعرض بعضا من هذه القضايا على النحو الآتي:

UIN IMAM BONJOL PADANG

[70] نفس المرجع، ص. 36 – 38

1. قدم أبو حيان الحديث عن الصرف على النحو، خلافا لما درج عليه النحاة من تقديم النحو على الصرف. فلا نكاد نجد كتابا قبل الارتشاف فعل ذلك، قال ابن جني: "إنك لا تكاد تجد كتابا في النحو إلا والتصريف في آخره"[71]. ورأى الباحث أن تقديم البحث عن بنية الكلمات في علم الصرف أحق أن يقدم من البحث عن تركيبها في علم النحو.

2. اختلف أبو حيان مع النحاة في ترتيب بعض الموضوعات النحوية، فمن ذلك مثلا أن ابن مالك رتب المعارف عنده على النحو الآتي: المضمر، والعلم، والموصول، والإشارة والمعرف بأل، بخلاف ما ترتيبها عند أبي حيان حيث جاء على النحو التالي: المضمر، والعلم واسم الإشارة، والمعرف بأل، واسم الموصول. وقد قدم أبو حيان اسم الإشارة على اسم الموصول. ويبدو أن هذا التقديم أدق وأكثر صحة. قال السيوطي : " وقد قدم ابن مالك في التسهيل باب الموصول على باب الإشارة مع أنه عنده مؤخر عنه في الرتبة، وليس بما صنعه وجه من المناسبة".[72]

UIN IMAM BONJOL PADANG

[71] أبو الفتح عثمان ابن جني، المنصف لكتاب التصريف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، (القاهرة: إدارة إحياء التراث القديم بوزارة المعارف العمومية، 1954)، ط. 1، ج. 1، ص. 4

[72] الإمام جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق:عبد العالم سالم مكرم , وعبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية، 1992)، ط. 1، ص. 78

3. أدخل أبو حيان باب الحقيقة والمجاز ضمن أبواب كتابه، مع أن المتعارف عليه أن هذا الباب ضمن أبواب اللغة، والحقيقة إن العلاقة وطيدة بين هذا الباب وبين أبواب النحو. وبكل هذه العروض الحديثة يكون أبو حيان مبدعا في ترتيبه لكتابه بعد أن نهج منهجا علميا دقيقا في عرضه.

وقد استشهد أبو حيان في كتابه ارتشاف الضرب من لسان العرب بالقرآن الكريم وقراءاته، وبعدد من الأحاديث النبوية وإن قل استشهاده بها، كما استدل بالشواهد الشعرية والنثرية وبالقياس والإجماع وباستصحاب الحال.

2. منهج أبي حيان الأندلسي في كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب

بعد أن بين الباحث كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب بالإيجاز، التجأ إلى استخلاص المنهج الذي نهجه مؤلفه أبو حيان الأندلسي في تأليف هذا الكتاب كما يلي:

1. بدأ أبو حيان الكتاب بالحديث عن الحروف وعددها ومخارجها وصفاتها مع ذكر آراء النحاة في هذا الأمر من أمثال سيبويه والفارسي وابن جني والمبرد والفراء والخليل وغيرهم.

2. تحدث أبو حيان عن أبنية الأسماء والأفعال، وقد تفرد في هذا الميدان حيث جمع ما يزيد على ألف بناء حتى الذين ألفوا في هذا الميدان من أمثال ابن القطاع في كتابه

UIN IMAM BONJOL PADANG

أبنية الأسما والأفعال، والزبيدي في كتابه الاستدراك، لم يصلوا إلى ما وصل إليه من الجمع والترتيب والاستقصاء والحصر، فلم يترك واردة في الأبنية إلا وتحدث عنها، كما أنه كان يشير إلى اللغات المختلفة في الكلمة الواحدة مثل ذلك قوله عند الحديث عن حرف النون حيث قال: "ونون نرجس بفتحها أو كسرها عندي أصلية".[73]

3. لا يقتصر جهد أبي حيان على الجمع والنقل عن القدماء في الأبنية فقط، بل يتحدث بإفاضة عن الزائد والأصلي في الكلمة الواحدة مع استيعاب آراء العلماء الذين سبقوه في القضية مع المناقشة والتحليل لكلامهم والترجيح لبعض آراءهم مع عرض موقفه في الموضوع، كما يتناول بنية الكلمة من ناحية الاشتقاق والوزن وورودها في اللغة واستعمالها وغير ذلك مما يدل على سعة ثقافة أبي حيان وطول باعه عند الحديث عن هذه القضايا، ومن أمثلة ذلك قوله: " وشيزار عند أبي الحسن ياؤه بدل من واو وهي أصل وزنه (فعلال)، وعند غيره (فعّال) أصله (شرّار).[74]

UIN IMAM BONJOL PADANG

[73] أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ص. 203

[74] نفس المرجع، ص. 220

4. لقد اهتم أبو حيان بذكر المصادر والمراجع والكتب والعلماء الذين استقى منهم مادة كتابه العلمية كما نقل لنا في الكتاب مادة علمية غزيرة من كتب مفقودة لم تصل إلينا مثل كتاب البسيط لمحمد بن ضياء الدين بن العلج وكتاب الفرح للجرمي وغير ذلك كثير.

5. يتناول أبو حيان آراء العلماء الذين سبقوه خلال خمسة قرون من أمثال سيبويه والأخفش والمبرد وابن السراج والفارسي وابن جني، وكذلك الذين عاصروه من أمثال ابن مالك وشيوخه وغيرهم بالنقد والتحليل والمناقشة والترجيح والموازنة، فأبو حيان له فكره المتميز وعقله الثاقب واجتهاده في كثير من القضايا الصرفية والنحوية وأدلته في ذلك السماع والقياس وما ورد من شواهد عن العرب.

UIN IMAM BONJOL PADANG

6. من منهج أبي حيان في الكتاب هو الاستيعاب التام لآراء ومذاهب النحاة في قضية واحدة أو جزئية من الجزئيات، وهذا يدل على الإحاطة والشمول التي تميز بها هذا العالم الفذ، يقول مثلا عند الحديث عن تقديم خبر (ليس): " وأما تقديم خبر (ليس) عليها فذهب جمهور الكوفيين والمبرد والزجاج وابن السراج والسيرافي وأبو علي في الحلبيات وابن عبد الحارث والجرجاني والسهيلي وأكثر المتأخرين إلى أنه لا يجوز، وذهب قدماء البصريين والفراء وأبو علي في المشهور عنه وابن برهان

والزمخشري والأستاذ أبو علي إلى جواز ذلك واختاره ابن عصفور، وروى أيضا عن السيرافي واختلف في ذلك عن سيبويه، فنسب الجواز والمنع إليه، وقال ابن جني في الخصائص عن المبرد خالف ذلك البصريين والكوفيين"[75] انتهى.

7. ومن منهج أبي حيان عرض خلافات النحاة في المسائل الجزئية والعلل والافتراضات والجدل حول أمور لا تفيد، ويرد أبو حيان هذا الجدل بأنه لا يجدى كبير فائدة ما دام لا ينبني عليه حكم فهو ضد الخلاف الذي ليس وراءه فائدة. كما اهتم أبو حيان كثيرا بذكر الخلافات بين النحاة مثل الخلاف بين سيبويه والمبرد وابن السراج، وكما اهتم كثيرا بإبراز الخلافات بين البصريين والكوفيين وحجج كل فريق منهم في تناول القضايا النحوية والصرفية.

8. كان أبو حيان يذكر رأيه في كثير من المسائل الخلافية حيث يسرد آراء النحاة في المسألة ثم يقول رأيه، نحو قوله: "وفي نصب الثاني خلاف، ذهب الزجاج إلى أنه توكيد، وذهب ابن جني إلى أنه صفة للأول، وذهب الفارسي إلى أنه منصوب

UIN IMAM BONJOL PADANG

[75] نفس المرجع، ص. 1171 – 1172

بالأول، والذي أختاره أنه وما قبله منصوبان بالعامل قبله لأن مجموعهما هو الحال"[76].

9. فمرّة تراه يعرض المسألة ذاكرًا بوضوح أنها مسألة خلافية، كقوله : خلافًا لفلان من النحويين، ومرة لا يُصرّح بأنها مسألة خلافية لكنني استشف ذلك من الآراء المختلفة للنحويين فيها، وثالثة تراه يذكر المسألة من دون أنْ يرجّح رأيًا من الآراء فيها، ورابعة تراه يرجّح أحد الآراء بعبارة دالة على الترجيح بوضوح، وتارة تراه يرجّح دون تصريح منه بالترجيح لكن الباحث عندما يتأمل المسألة اكتشف أنه يرجّح فيها رأيًا من الآراء التي ذكرها.

10. كان أبو حيان كثير الاعتماد على السماع ويوجب مسألة لكي تصح عنده أن يكون هناك نص مسموع عن العرب قد ورد بها، فقال: " وهما زعمان مخالفان للسماع من القرآن ومن كلام العرب".[77]

11. كان أبو حيان شديد المعارضة على ابن مالك حيث كان يخالفه في أغلب المسائل التي يذكرها، ومن ذلك قوله : "وإن كان حرف النفي (لما) فقال ابن مالك : هو

UIN IMAM BONJOL PADANG

[76] نفس المرجع، ص. 1558
[77] نفس المرجع، ص. 1607

كالنفي ب (لم) في القياس إلا أنني لم أجده مستعملا إلا بالواو. ونسي ابن مالك أنه أنشد ل (لما) ما فيه دليل على مجيئ النفي ب (لما) حالا دون الواو، وذلك في أول شرحه لكتاب التسهيل".[78]

12. لم يكن أبو حيان يقبل الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف كما قبله ابن مالك، وذلك لكونه مرويا بالمعنى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكونه مختلفا في روايته ومنه الصحيح والضعيف.

إن لأبي حيان في كتابه (ارتشاف الضرب من لسان العرب) طرائق وأساليب وعبارات عدّة في عرض مسائل النحو الخلافية، إلا أنها غير محددة، فطرائقه متنوعة وأساليبه مختلفة وعباراته متباينة من مسألة إلى أخرى، فأبو حيان لم يترك مسألة من مسائل النحو الخلافية إلا وذكرها، ولا ينحصر هذا في مسائل النحو وإنما تعداه إلى مسائل الصوت والصرف، ويعود هذا إلى إطلاعه الواسع على ما أنتجته قرائح العلماء عبر قرون عديدة وما أبدوه من آراء واجتهادات، فضلاً عن إلمامه بالنحو ومدارسه ومذاهب العلماء فيه، ولا

UIN IMAM BONJOL PADANG

[78] نفس المرجع والمكان

عجب فقد كان عالمًا كبيراً يمتاز بفكر ثاقب وعقلية واعية مُدرِكة فقد كان متتبعًا لآراء المتقدمين والمتأخرين، ناقدًا لها بما لديه من حجج وأدلة .[79]

ولم يكن ترجيحه خاليًا من الدقة في استيعاب الآراء التي ذكرها وإنما بنى ترجيحه على دراية وفهم تام لمسائل النحو فمرة نراه يبنيه على السماع وأخرى على القياس وثالثة على إجماع النحويين ورابعة على استصحاب الحال.

وأبو حيان حين يعرض الرأي يرد عليه مباشرة أو يخالفه، كما في مسألة الخلاف في جواز عمل (أنْ) زائدة في الفعل المضارع بقوله:"ولا تعمل (أنْ) زائدة خلافًا للأخفش"[80]. كما يعرض الرأي من دون ذكر أنّ في المسألة خلافًا، ثم يفاجئ القارئ بوجود خلاف في المسألة، أي إنه يذكر المسألة قبل التصريح بوجود خلاف فيها، مثال ذلك ما جاء في باب البدل قوله: " وأمّا بدل المضمر من المضمر في بدل كل من كل، فمثاله: رأيتك إيّاك، وتقدّم الخلاف فيه بين البصريين والكوفيين، وأما في بدل بعض من كل وفي بدل الاشتمال فمثاله : ثلث التفاحة أكلتها إيّاه، وحسن الجارية أعجبتني هو، وفي جواز مثل هذا التركيب خلاف، والذي نختاره المنع ".[81]

UIN IMAM BONJOL PADANG

---

[79] نفس المرجع، ص. 31

[80] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1642

[81] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1963

قد يبدأ أبو حيان المسألة الخلافية بترجيحه الرأي الذي يراه صحيحًا قبل ذكر المسألة، ويتضح ذلك قوله في باب المفعول فيه:" والصحيح أنه لا تقع (إذ) موقع (إذا)، ولا (إذا) موضعها، وذهب بعض النحويين إلى مجيء ذلك".[82]

ويعرض الآراء جميعًا ثم يعود ليذكر موجزًا لكل رأي من الآراء، ويتضح ذلك في مسألة الخلاف في جواز بناء الاسم المركب تركيبًا مزجيًا إذ يقول:" وفي بناء المركب تركيب المزج خلاف، فليس يطرد عند عامة البصريين والكوفيين والصحيح جوازه، فيصير فيه ثلاثة مذاهب للعرب: منعه الصرف وإعرابه إعراب المتضايفين وبناؤه ".[83]

والأسلوب الشائع عند أبي حيان أنه يستوفي الآراء الخلافية في المسألة ثم يذكر رأيه آخرًا ويتضح ذلك مثلاً في مسألة الخلاف في صرف أسماء العدد المعدولة على (فُعَال) و(مَفْعَل)، هل يقاس عليها أو يقتصر فيها على السماع ؟ فهو بعد ما عرض مذهب البصريين ومذهب الكوفيين، وذكر مذهبًا ثالثًا لم ينسبه لأحد قال: "وقيل : يقال البناءان وهو الصحيح، بسماع ذلك من العرب ".[84]

UIN IMAM BONJOL PADANG

[82] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1410
[83] نفس المرجع، ج. 2، ص. 866
[84] نفس المرجع، ج. 2، ص. 874

قد يعرض المسألة بإيجاز واختصار ثم يُرجّح أو يبدي رأيه مباشرة، مثال ذلك قوله في باب المبتدأ والخبر: " فإن كان (إنّ وأنّ ولكنّ) فالخلاف في جواز دخول الفاء في خبرهن ، والصحيح الجواز ".[85]

إنّ الغالب في منهج أبي حيان أنه يعرض المسألة فقط دون إبداء رأي أو ترجيح مذهب مثل ذلك قوله في باب الإخبار بالذي: "الفاعل إذا كان ضمير متكلم أو مخاطب، ففي جواز الإخبار به خلاف، والجمهور على الجواز ".[86]

إنّ أبا حيان في بعض المسائل الخلافية يقوم بتجديد مذاهب النحاة في بدء عرض المسألة الخلافية، فيذكر أنّ للنحويين في هذه المسألة ثلاثة أو أربعة مذاهب أو فيها قولان أو ثلاثة، مثال ذلك قوله في باب الحال: "ومثال انفراد الجملة الاسمية بالضمير: جاء زيدٌ ويده على رأسه وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب ".[87]

ومن طرائق أبي حيان في عرض المسائل الخلافية، أنه يبدأ بعرض المادة أو القاعدة النحوية بشكل يوحي بوجود خلاف حتى يُفاجئ القارئ بوجود مسألة خلافية عن طريق ذكره لرأي مخالف للقاعدة التي ذكرها أو رد على رأي مثال ذلك قوله: "وكأين، الذي يظهر

[85] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1145
[86] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1056
[87] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1606

UIN IMAM BONJOL PADANG

من استعمال كلام العرب أنها خبرية، تدل على التكثير، وتمييزها يكثر جره بمن ... وأخطأ ابن عصفور في قوله : إن يلزم تمييزها (من) ".[88]

لم يعتن أبو حيان بذكر الخلاف وسائله فقط، بل قد يشير إلى أنه ليس في المسألة التي هو بصددها خلاف، وكأنّ كتابه مختص بذكر الخلاف النحوي، مثل ذلك قوله : " فأما المنادى، فما كان نكرة غير مقبل عليه، فلا خلاف أنه نكرة ".[89]

وقد يشير أبو حيان إلى اختلاف رأي النحوي في المسألة الواحدة إما بسبب اختلاف آرائه في كتبه المتعددة أو اختلاف النقل عنه، ويتضح ذلك مثلاً في مسألة الخلاف في المشتمل في بدل الاشتمال إذ يقول : " واختلفوا في المشتمل في بدل الاشتمال، مذهب الفارسي في أحد قوليه، والرماني في أحد قوليه ".[90]

UIN IMAM BONJOL PADANG

وقد يشير أبو حيان إلى مذهب النحوي وانتمائه، ويبدو أنّ السبب في ذلك، أنّ كتابه (ارتشاف الضرب) كتاب تعليمي اختصره لتلاميذه عن كتابه (التذييل والتكميل في شرح التسهيل)[91]، ويتضح ذلك مثلاً في مسألة الخلاف في علامة إعراب الأسماء الستة بقوله : " هذا المذهب من إتباع ما قبل الآخر، وهو مذهب سيبويه والفارسي والجمهور من

[88] نفس المرجع، ج. 2، ص. 789
[89] نفس المرجع، ج. 2، ص. 908
[90] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1968
[91] نفس المرجع، ج. 1، ص. 3 . 4

البصريين وأصحابنا، وذهب قطرب من البصريين، وهشام من الكوفيين إلى أنّ هذه الحروف هي نفس الإعراب نائبة عن الحركات ".[92]

إنّ الأسلوب الشائع عند أبي حيان الإيجاز والاختصار في عرض المسائل الخلافية ويتضح ذلك مثلاً في مسألة الخلاف في التعدي بالتضعيف، إذ يقول :" وفي التعدي بالتضعيف مذهبان : أحدهما : أنه سماع من اللازم والمتعدي . الثاني : أنه قياس ".[93]

وقد تتشابك المسائل في منهج أبي حيان وتتداخل فيما بينها، أي إنه حين يذكر خلافًا في مسألة معينة يقوده ذلك إلى ذكر خلاف آخر يتفرع عن الخلاف الأول مثل ذلك مسألة الخلاف في عمل (لات) إذ يقول: " واختلفوا،هل تعمل أم لا فذهب الأخفش إلى لا تعمل، بل إن ارتفع الاسم بعدها فهو مبتدأ، وخبره محذوف، أو خبر محذوف المبتدأ، أو انتصب على إضمار فعل، وذهب الجمهور أنها تعمل ".[94]

وما كاد ينهي المسألة، فإذا به يفاجئنا بمسألة قد نبعت من المذهب الثاني إذ يقول : " واختلفوا، أعملها مختص بلفظ الحين، أم يتعدى إلى ما رادف الحين من الظروف، فمذهب

UIN IMAM BONJOL PADANG

[92] نفس المرجع، ج. 2، ص. 837، و 943 ، وهشام هو هشام بن معاوية أبو عبد الله الكوفي النحوي صاحب الكسائي له كتاب الحدود والمختصر في النحو وكتاب القياس ،جلال الدين السيوطي، وبغية الوعاة، ج. 2، ص. 325

[93] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2093

[94] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1210 ـ 1211

الفراء : أنه مختص بالحين، وهو ظاهر مذهب سيبويه. وذهب الفارسي وغيره إلى أنه تعمل في الحين، وفيما رادفه معرفة كان أو نكرة".[95]

إنّ مسائل النحو الخلافية في ارتشاف الضرب مزيج من النحو الكوفي والبصري ومن تابعهم من البغداديين والأندلسيين والمصريين، ومزيج من مذاهب النحاة المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين لأبي حيان من المخالفين والمتابعين، ويتضح ذلك مثلاً في مسألة الخلاف في علة منع الاسم المعدول، يقول أبو حيان : " والعدل صرف لفظ أولى بالمسمى إلى آخر، فيمنع مع الصفة نحو : مثْنى، وثُلاث هذا مذهب سيبويه والخليل، وذهب الأعلم[96] إلى أنه لا تدخله التاء فضارع أحمر فلم ينصرف فهو معدول عن أصله، وأنكر أنْ يكون الوصف واحدًا مبهماً، وذهب الزمخشري إلى أنه امتنع لأنه عدل في اللفظ وعُدِل عَدْل التنكير، وذهب الفراء إلى أنه امتنع للعدل، والتعريف بنية (أل) ".[97]

يعتمد أبو حيان في كثير من الأحيان على المناسبة في معالجته الخلاف فهو يعرض المسألة الخلافية من زاوية في باب، ويعود ليعرضها من زاوية أُخرى في باب آخر، ومثال ذلك

[95] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1211

[96] الأعلم هو يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمري المعروف بالأعلم ألّف شرح أبيات سيبويه، والنكت على كتاب سيبويه وغير ذلك، أنظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج. 2، ص. 349

[97] نفس المرجع، ج. 2، ص. 855

UIN IMAM BONJOL PADANG

عرضه للخلاف في الفعل المضارع إذا لحقته (نون التوكيد) في باب (نوني التوكيد)، وفي باب (البناء)، وفي باب (الإعراب).[98]

كذلك من منهجه أنه ينبه على وجود المسألة الخلافية قبل عرضها، كأن يكون التنبيه في باب ويكون العرض في باب آخر، مثل ذلك قوله في باب (المضمر) : "وأما ما يتقدم الضمير، ويتأخر عنه مفسره وجوبًا، فمنه المجرور برُبّ نحو : ربّه رجلاً صحبت والمرفوع بنعم وبئس، وما جرى مجراهما نحو :

نعم امرأً هرمُ ....

وظَرُفَ رجلاً زيدٌ، ففي نعم ضمير فاعل يفسّره التمييز بعده هذا مذهب البصريين وذهب الكوفيين إلى أنه ليس فيه ضمير بل الاسم المرفوع بعد المنصوب هو الفاعل بنعم وبئس، ثم عاد وذكر المسألة في باب (نعم وبئس) وهي مسألة الخلاف في جواز أن يستكن الضمير في (نعم) فيكون هو الفاعل.[99]

إنّ نسبة الآراء إلى أصحابها من الأمور المهمة في عرض الخلاف ومعالجته وقد اتخذت هذه المسألة في منهج أبي حيان أشكالاً عدة هي :

[98] نفس المرجع، ج. 2، ص. 662

[99] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2048

UIN IMAM BONJOL PADANG

أولا: نسبة الرأي إلى صاحبه، إنّ الغالب في منهج أبي حيان في عرض المسائل الخلافية نسبة الآراء إلى أصحابها، ويتضح ذلك من خلال عرضه مذاهب النحاة مثل قوله : " مذهب سيبويه"[100]، " مذهب ابن جني "[101]، " مذهب الفراء ".[102]

ثانيا: عدم نسبة الرأي إلى صاحبه، قد يهمل أبو حيان نسبة الرأي إلى صاحبه وهذا واضح من استعماله عبارات معينة مثل : " خلافًا لمن قال "[103]، " خلفًا لمن زعم"[104]، " ذهب بعض النحاة "[105]. وقد يهمل نسبة بعض آراء المسألة ويذكر بعضها، مثال ذلك قوله: " وقد نصّ سيبويه وحكى عليَّ عهدُ الله لأفعلنّ، فأظهر الخبر خلافًا لمن أنكر إظهاره من المتأخرين، وحكاية سيبويه ترد عليه ".[106]

ثالثا: الإيهام في نسبة الآراء، وإنّ أبا حيان في بعض الأحيان يوهم القارئ بعدم نسبة الرأي إلى صاحبه، كأن يعرض المسألة ثم يخالف الرأي الثاني بقوله: " خلافًا لمن أجاز"، ثم بعد ذلك يذكر رأيه متبعًا باسم النحوي، مثال ذلك قوله (في باب كان وأخواتها): "وحكوا : ما أصبح أبردها،وما أمسى أدفأها، يعنون الدنيا، فإنْ ثبت فهو عند

[100] نفس المرجع، ج. 2، ص. 675
[101] نفس المرجع، ج. 5، ص. 2271
[102] نفس المرجع، ج. 2، ص. 741
[103] نفس المرجع، ج. 2، ص. 674
[104] نفس المرجع، ج. 2، ص. 676
[105] نفس المرجع، ج. 2، ص. 738
[106] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1186

UIN IMAM BONJOL PADANG

البصريين من القلة، بحيث لا يُقاس عليه، وخلافًا لم أجاز زيادة أفعال هذا الباب، إذا لم يُنقض المعنى وهو الفراء".[107]

وقد تباين موقف أبي حيان من الخلاف النحوي بحسب أهمية الخلاف عنده، فقد يكون الخلاف عنده ليس فيه كبير منفعة أو فائدة، مثال ذلك قوله في باب المنصوبات عندما عرض الخلاف (في كون المفاعيل خمسة أولا): " وكون المفاعيل خمسة هو مذهب البصريين، وزعم الكوفيون أنه ليس للفعل إلا مفعول واحد هو المفعول به، وباقيها مشبهة به، وهذا الخلاف لا يجدي كبير فائدة ".[108]

والخلاف المفيد عند أبي حيان هو الذي يؤدي إلى معنى كلامي أو حكم لفظي وقد صرّح بذلك بقوله: " إنما الخلاف الذي يُجدي هو فيما أدى إلى حكم لفظي أو معنى كلامي "[109]. ومثال ذلك يتضح في مسألة (الخلاف في جواز رفع الوصف للضمير المنفصل) إذ يقول : " والضمير المنفصل نحو " أقائم أنتما، و أ قائم أنتم، خلافًا للكوفيين في منع رفعه المضمر المنفصل، فإذا قلت: أقائم أنت، جعلوا (قائمًا) خبراً مقدمًا، و(أنت) مبتدأ، والبصريون يجيزون هذا الوجه، ويجيزون أن يكون (أنت) فاعلاً بقائم، وثمرة الخلاف

UIN IMAM BONJOL PADANG

[107] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1186
[108] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1351
[109] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1506

تظهر في التثنية والجمع، والكوفيون لا يجيزون إلا: أقائمان أنتما، أقائمون أنتم، وإذا عطفت على هذا الوصف بـ(بل) انفصل الضمير فتقول: أقائم الزيدان بل قاعدهما، قاله المازني، ولو قال قائل: زيد قائم، جاز أن تقول منكرًا عليه: أقائم هو، ترفع هو بقائم، وتقول: أقائم أخواك أم قاعد هذا هو القياس، وحكى المازني: أم قاعدان، فأضمر المتصل على حد ما يضمر في اسم الفاعل ".[110]

3. آراء العلماء في كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إنّ لأبي حيان أسلوبًا متميزًا في عرض المسائل النحوية والدراسات الخلافية في كتابه ارتشاف الضرب. ويمكن الباحث أن يذكر بعض مميزاته فيما يلي:

1. اهتم أبو حيان في كتابه هذا بحشد كل ما وصلت له يده من آراء وأقوال العلماء إزاء كل موضوع أو قضية أو مسألة طرحها، فيقول : "ومذهب سيبويه أن "مثل" من المقادير، ومذهب الفارسي أنه ليس من المقادير، وقال ابن الضائع شبيه بالمقدار"[111]. ومثل هذا كثير ولا يسع الباحث حصره.

UIN IMAM BONJOL PADANG

---

[110] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1080 - 1081

[111] نفس المرجع، ص. 1627

2. لا يكاد يدع أبو حيان في هذا الكتاب مسألة ذكرت فيها آراء العلماء إلا ويذكر رأيه إما بالتصحيح أو بالترجيح أو القبول أو الرفض مع التعليل، فيقول مثلا: " وذهب الكسائي والجرمي والمازني والمبرد إلى جواز ذلك، وهو اختيار ابن مالك، وهو الصحيح لكثرة ما ورد من الشواهد على ذلك"[112].

3. كان أبو حيان يتحرى صحة النقل معتمدا في ذلك على صحة الرواية، ونجد في هذا الكتاب كثيرا من ذلك التحري، مثل : " حكى قطرب، وحكى يعقوب "، وكقوله : " انتهت هذا المسائل من كلام الفراء "، وكقوله : " والذي حكيناه نقلناه عن أبي جعفر النحاس".

4. من أهم ما يميز أسلوب أبي حيان في كتابه أنه لا يكتفي بذكر رأيه فقط، وإنما يردفه بتعليل منطقي يكون مقنعا في أغلب المواضع أحيانا، كقوله : " ولا يجوز الثانيهما اثنان لعدم الفائدة".[113]

UIN IMAM BONJOL PADANG

[112] نفس المرجع، ص. 1635
[113] نفس المرجع، ص. 1067

5. اتسم أسلوب أبي حيان بالبساطة مع الدقة، فيستعين بالتمثيل مع كل مسألة يطرحها دفعا للإبهام والغموض، فيقول : "لا تدخل (لعل) إلا على الممكن، فلا تقول : لعل الشباب يعود".[114]

6. من المميزات المائزة لهذا الكتاب الإكثار من الشواهد القرآنية والأشعار والنقول ولغات القبائل العربية المختلفة والأمثال مع ذكر الوجوه الإعرابية، والقراءات المختلفة في الآيات.

7. اتسم هذا الكتاب بدقة التبويب والتفصيل والتقسيم، فهو عندما يتحدث في باب من أبواب النحو يبدأ بالتعريف به أولا، ثم يلج في الموضوع ويقسمه إلى فصول وقضايا جزئية، ثم يستوفي ما قيل في تلك الفروع من كل صغيرة وكبيرة في الموضوع، ثم يتناول حديث النحاة ويقسمه إلى مذاهب، ويبين وجهة نظر كل مذهب مع نسبة الآراء إلى أصحابها.

UIN IMAM BONJOL PADANG

وإن امتلأ هذا الكتاب بكثير من المميزات إلا أنه لا يخلو من بعض المآخذ، منها:

1. أن أبا حيان يستطرد أحيانًا في عرض المسائل الخلافية، كأن يبدأ بعرض مسألة ما، ثم ينتقل إلى موضوع آخر، ويعود ليتمها. وذلك ما نلاحظه في باب: (النكرة

[114] نفس المرجع، ص. 1240

والمعرفة)، في مسألة الخلاف في (أعرف المعارف)، فهو بعد أن عرض المسألة انتقل إلى موضوع آخر تحدّث فيه عن عدد المعارف وذكر العديد من المسائل الخلافية البعيدة عن المسألة الأولى ثم عاد بعد ذلك ليذكر رأي ابن مالك ورأيه في مسألة الخلاف في أعرف المعارف.[115]

2. ومن المآخذ أيضًا الغموض والاختصار في عرض المسائل الخلافية، فقد يعرض المسألة الخلافية بإيجاز واختصار شديدين من دون ذكر الشواهد والمذاهب التي تعين القارئ على فهم المسألة، مثل ذلك قوله في باب الاشتغال : " وفي دخول جمع التكسير في هذا الباب خلاف "[116]، واكتفى بذلك، ومن الغموض قوله في باب التنازع : "والتقديم في المقتضي هو أكثري لا شرط خلافًا لمن اشترط التقديم".[117]

وقد حاول بعض العلماء في تحقيق هذا الكتاب الضخم وخرّجوا منه كل الأدلة والبراهين التي استدل بها أبو حيان الأندلسي في كتابه ارتشاف الضرب. ومن هولاء الذين حققوا هذا الكتاب هو الأستاذ الدكتور مصطفى أحمد خليل النماس، طبع هذا التحقيق في المكتبة الأزهرية سنة 1984 في ثلاثة مجلدات. إلا أن هذا الكتاب المحقق مليئ

UIN IMAM BONJOL PADANG

[115] نفس المرجع، ج. 2، ص. 908 . 911
[116] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2161
[117] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2139

بالتصحيفات والأخطاء والأوهام التي لا حصر لها مما جعلت الكتاب لا يستفاد منه كثيرا، وبخاصة كتاب مثل هذا جمع فيه أبو حيان الكثير من التراث النحوي وما من باحث في اللغة إلا وهو في حاجة إليه.

وبعد التاريخ البعيد، وقر في نفس الدكتور رمضان عبد التواب أن كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب لم يبذل فيه ناشره جهدا يليق بصاحبه، بل ملأه بالتحريفات والتصحيفات والتعليقات المضللة هنا وهناك، فأقسم أمام بعض تلاميذه أنه لابد من تحقيق هذا الكتاب من جديد على المنهج العلمي الصارم في تحقيق النصوص. وذلك المنهج الذي أرسينا قواعده منذ أكثر من ثلاثين عاما وأخرجنا على هديه كثيرا من النصوص الصعبة التي حققها الدكتور رمضان عبد التواب، أو قام بتحقيقها كثير من تلاميذه المخلصين للتراث العربي المجيد تحت أشراف صارم منه وتوجيه مخلص أمين.

UIN IMAM BONJOL PADANG

قال الدكتور رمضان عبد التواب: "وجاءني تلميذي رجب عثمان بعد أن انتهى من رسالته الماجستير، وذكر لي أنه قد استخار الله العلي القدير، واستقر برأيه على البر بقسم أستاذه، والعمل على تحقيق "ارتشاف الضرب" من جديد. فناقشته في صعوبة العمل وما يتطلبه من معرفة شاملة بقضايا النحو العربي، ومشكلاته المتعددة، وآراء المدارس النحوية المختلفة، وامتلاء الكتاب بالنقول الكثيرة، من المؤلفات النحوية الزاخرة بالتفصيلات،

والتوجيهات، والتعليلات، والتأويلات، وكثرة الشواهد الشعرية التي تذكر بلا نسبة لقائليها أحيانا في هذا الباب أو ذاك من أبواب الكتاب. ولكنني كنت كلما أمعنت في صده عن المضى في هذا العمل المضنى الشاق، أمعن هو في التمسك بما استقر عليه رأيه أن يكون تحقيق هذا الكتاب في ضمن متطلبات أطروحته للدكتوراة تحت إشرافي. فوافقت بعد أن اقتنعت بما أعلنه هذا التلميذ المخلص من استعداده لبذل أقصى طاقته في الوفاء بمتطلبات المنهج العلمي في تحقيق النص ودراسته".[118]

ولا مناص من أن تحقيق التراث العربي أمر ليس باليسير، بل هو يحتاج إلى صبر وأناة على ضبط النص، والوقوف على مشاكله، وبخاصة النصوص اللغوية المضطربة وغيرها. وتحقيق النصوص أقدم عليه الكثير من الناس دون أن تكون لديهم الأدوات الكافية للدخول في هذا الميدان الوعر المسالك.

وفي هذا يقول الدكتور رمضان عبد التواب: "وقد تبين لي بعد نحو ربع قرن من الزمان في علاج النصوص القديمة وتحقيقها ونشرها أن معرفة هذا الفن أمر لا يستغنى عنه

[118] نفس المرجع، باب المقدمة، ص. 4

UIN IMAM BONJOL PADANG

كل من عالج نصا من هذه النصوص القديمة، في بحث أو دراسة أو نشر، وقديما قالوا: لا يعرف الشوق إلا من يكابده"[119].

ولكل هذا أعقد رجب عثمان العزم على أن يتقدم لنيل درجة الدكتوراة في اللغويات في جامعة الأزهر الشريف برسالة موضوعها "الفكر اللغوي عند أبي حيان في ضوء علم اللغة الحديث مع تحقيق كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب عام 1996. ويعتبر هذه الرسالة محاولة علمية قيمة فيما يتعلق بتحقيق كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، وهي ما اعتمد عليه الباحث كثيرا في كتابة هذه الرسالة وجعلها مصدرا أساسيا لبحثه.

وقد واجه رجب عثمان في تحقيق هذا الكتاب بعض الصعوبات، منها:

أ) كبر حجم المخطوط وما حواه من مادة علمية واسعة اشتملت على كل أبواب النحو والصرف مع موصوعية أبي حيان في عرض هذه المادة.

ب) أن طريق البحث في كتب أبي حيان يمتلئ بالأشواك لما للرجل من ثقافة واسعة حوت التراث العربي بما فيه من معضلات ومشاكل.

UIN IMAM BONJOL PADANG

[119] نفس المرجع، ص. 7 – 8

ج) أن كثيرا من الأبيات التي وردت في الكتاب على سبيل الاستشهاد سقط معظم أجزائها ولم يبق منها إلا ما يدل على قائلها، بالإضافة إلى ما سقط صدره وعجزه.

د) كثرة الاقتباس عند أبي حيان من النحاة الذين سبقوه مما تطلب جهدا كبيرا في مراجعة كتب النحو وتوثيق هذه الآراء ونسبتها إلى أصحابها ابتداء من سيبويه إلى ابن مالك وغيرهما من النحاة[120].

وكتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب يعد بحق موسوعة نحوية جمع فيها أبو حيان منابع النحو وروافده، وذلك حتى عصره، ولم يقدم لنا هذا الكتاب إلاَّ بعد أن اطلّع على آراء النحاة المتقدمين والمتأخرين، فأفاد منها، فجاء كتابه منطوياً على زبدة آرائه النحوية واللغوية. قال السيوطي متحدثاً عن كتاب ارتشاف الضرب وكتاب التذييل والتكميل،: "ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال، وعليهما اعتمدت في جمع الجوامع".[121]

وقد تبين أن منهج أبي حيان في الكتاب هو الاستيعاب التام لآراء ومذاهب النحاة في قضية واحدة أو جزئية من الجزئيات، وهذا يدل على الإحاطة والشمول التي تميز بها هذا

UIN IMAM BONJOL PADANG

[120] نفس المرجع، ص. 9

[121] الإمام جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق:عبد العالم سالم مكرم , وعبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية، 1992)، ط. 1، ص. 2

العالم الفذ،كما عرض خلافات النحاة في المسائل الجزئية والعلل والافتراضات والجدل حول أمور لا تفيد، ويرد أبو حيان هذا الجدل بأنه لا يجدى كبير فائدة ما دام لا ينبني عليه حكم فهو ضد الخلاف الذي ليس وراءه فائدة. كما اهتم أبو حيان كثيرا بذكر الخلافات بين النحاة مثل الخلاف بين سيبويه والمبرد وابن السراج، وكما اهتم كثيرا بإبراز الخلافات بين البصريين والكوفيين وحجج كل فريق منهم في تناول القضايا النحوية والصرفية.و يذكر أبو حيان رأيه في كثير من المسائل الخلافية حيث يسرد آراء النحاة في المسألة ثم يقول رأيه. ولا يخلو هذا الكتاب من بعض المآخذ، منها: أن أبا حيان يستطرد أحيانًا في عرض المسائل الخلافية، كأن يبدأ بعرض مسألة ما، ثم ينتقل إلى موضوع آخر، ويعود ليتمها، ومنها الغموض والاختصار في عرض المسائل الخلافية، فقد يعرض المسألة الخلافية بإيجاز واختصار شديدين من دون ذكر الشواهد والمذاهب التي تعين القارئ على فهم المسألة.

ويتبين بجلاء ووضوح مكانة أبي حيان العلمية والاجتماعية حيث كان وحيد عصره في القراءات، والتفسير، والفقه، والنحو، والأدب، والحديث، والتصنيف.كل هذه الأمور جعلت العلماء يتنافسون في الثناء عليه. يقول تلميذه الصفدي: أبو حيان إمام الدنيا في النحو والتصريف، وله اليد الطولى في التفسير، والحديث، والشروط، والفروع، وتراجم الناس وتواريخهم، وحوادثهم، وقد قيد أسماؤهم على ما يتلفظون به من إمالة وتفخيم، كل ذلك قد

UIN IMAM BONJOL PADANG

جوّده، وحرّره، وقيده. ثم يقول: وقد اشتهر اسمه وطار صيته، وأخذ عنه أكابر الناس، وله التصانيف التي سارت، وطارت، وانتشرت، وانتثرت، وقرئت ودربت ونسخت[122].

4. استشهاد أبي حيان بأدلة النحو وموقفه من السماع والقياس والعلة والعامل في كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب

لابد لنا ونحن ندرس مسائل النحو الخلافية في ارتشاف الضرب من أنْ نبيّن أثر أصول النحو في هذه المسائل، وكيف أنّ أبا حيان اعتمد هذه الأصول في ترجيحه بعض الآراء التي يعرضها في أثناء هذه المسائل، ذلك أنه بنى ترجيحه أحيانًا على السماع وأحيانًا أخرى على القياس أو الإجماع أو استصحاب الحال، لاسيما أنّه لم يكن مجرّد سارد أو ناقل للخلاف، فهو غالبًا ما يبدي رأيه ويخالف ويرد ويُضعّف ويرجح أو يجتهد في بعض الآراء. ومن أدلة النحو التي استدل بها أبو حيان في كتابه ارتشاف الضرب من لسان العرب هي:

أ- السماع :

السماع هو الأصل الأول من أصول النحو ويسمى النقل، وقد حده السيوطي في اقتراحه بأنه "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله وهو القرآن، وكلام نبيه،

[122] محمد سالم محيسن، المرجع السابق، ص. 157

UIN IMAM BONJOL PADANG

وكلام العرب قبل البعثة وفي زمنه وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظما ونثرا، عن مسلم أو كافر".[123]

سار أبو حيان على منهج البصريين في اعتماده على السماع الكثير وعدم القياس أو الاعتماد على القليل أو النادر، فالسماع عنده هو الأصل فهو يستعين به كثيراً ويعتمد عليه، ويبني الأحكام والقواعد على ما كثر منه وثبت في لسان العرب، وهو في مذهبه لم يكن متابعًا للبصريين في أغلب آرائهم إلا لكونهم اعتمدوا في وضع قواعدهم على السماع الموثق والكثير، ولذا نجده في بعض الأحيان يعزف عن آرائهم ولا يأخذ بمذهبهم إذا وجد من السماع ما يُخالف أقيستهم أو كانت هذه الأقيسة غير مؤيدة بالسماع.[124]

أما موقف أبي حيان من السماع فيتمثّل بما يأتي :

1) دعوته في كثير من الأحكام النحوية إلى الوقوف عند السماع، إما لكونه لا نظير له في الألفاظ المسموعة، أو لأنه لم يُسمع ما يخالفه. مثال ذلك ردّه على ابن مالك الذي أجاز الاستغناء ب (كلّهما) عن (كليهما وكلتيهما)، بقوله " وزعم ابن مالك أنه يستغنى بكلهما عن كليهما وعن كلتيهما، نحو: قام الرجلان كلهما، وقامت

[123] جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق عبد الحكيم عطية، (بيروت: دار البيروتي، 2006)، ط. 2، ص. 39

[124] خديجة الحديثي، أبو حيان النحوي، ص. 408.

UIN IMAM BONJOL PADANG

المرأتان كلهما، أي كلاهما وكلتاهما، ويحتاج ذلك إلى سماع من العرب "[125]، ومن العبارات التي استخدمها أبو حيان ومما ينطوي تحت هذا المجال قوله: " فيحتاج إثبات ذلك إلى سماع من العرب "، "والذي أجازه الكوفيون ومن وافقهم من التراكيب ليست مسموعة من العرب "[126]، "ولا ينبغي أنْ يذهب إلى ذلك إلا بسماع ثابت عن العرب "[127] ، " وهذا يحتاج إلى تحرير في النقل "[128]، وكون الكوفيين هم أوسع من البصريين في إتباع كلام شواذ العرب، يذهبون إلى أنّ (بل) لا تجيء في النسق بعد إيجاب دليل على عدم سماعه من العرب أو على قلة سماعه"[129] ، "ولا ينبغي أنْ يقال به إلا أن يُشهد له بالسماع"[130]، "والقياس يقتضيه لكنه لم يسمع من العرب "[131]، " لأنه لم يأتِ به سماع صحيح ".[132]

2) لا يُسلّم أبو حيان بكل ما جاء به من السماع إذا جاء مخالفًا للقواعد أو احتمل التأويل، مثال ذلك ما جاء في باب الحال قوله: " وزعم ابن مالك أنها تجرّ بباء

[125] أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج. 4، ص. 1949
[126] نفس المرجع، ج. 2، 796
[127] نفس المرجع، ج. 2، ص. 1021
[128] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1142
[129] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1995
[130] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1996
[131] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2070
[132] نفس المرجع، ج. 5، ص. 1217

UIN IMAM BONJOL PADANG

زائدة وما استدل به لا حجة فيه "[133]، ومن ذلك قوله : " وما أجازه ليس بصحيح ولو استدل بشيء لا يحتمل التأويل لكان من القلة بحيث لا يُقاس عليه".[134]

3) ردّه على الكثير من الآراء والمذاهب الاجتهادية المخالفة لما ورد به السماع، من ذلك استشهاده بالقرآن الكريم في الرد على الفراء في مسألة الخلاف في جواز القول: "مَنْ قائم" بغير الضمير هو في الكلام، إذ يقول: " وزعم الفراء أنه لا يجوز : من قائم إلا في الشعر، وأنهم إذا لم يقولوه معرفة نحو: من القائم، أو فعل أو يفعل نحو: من قام، من يقوم أدخلوا (هو)، كقوله تعالى :﴿ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ (سورة هود، 11: 93)،ومثال ذلك مجيئه في الشعر بغير (هو) قوله:

وشاربٍ مُرْبِح بالكأسِ نَادَمَني .....

وهذا الذي ذهب إليه ليس بصحيح، بل جاء بغير (هو) في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ (سورة القيامة، 75: 27) فلم يأت ب(هو) بين (من) و(راق) "[135]. وناصر قراءة ابن عامر (ت118هـ) مرجحًا مذهب الكوفيين في جواز الفصل بين

[133] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1557
[134] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1737
[135] نفس المرجع، ج. 2، ص. 1029 ـ 1030

UIN IMAM BONJOL PADANG

المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور، بقوله: "وأما الفصل بين المصدر والمخفوض كقراءة ابن عامر :﴿ قَتْلَ أولادَهِم شُركاؤهُم ﴾ (سورة الأنعام، 6: 137)، فقد جاءت نظائره في أشعار العرب، والصحيح جوازه وإن كان أكثر النحاة يخصّونه بالشعر".[136]

ولا جدال في أن أبا حيان يعد الشاهد القرآني هو الأساس الأول والمصدر الموثوق به في التقعيد واستخلاص قواعد النحو وتثبيتها، فقد بلغ عدد الآيات التي استشهد بها في كتاب الارتشاف بما يزيد عن ألف آية.[137]

وأما القراءات فقد تبين موقف أبي حيان فيها واختياره لها في قوله: "والذي نذهب إليه أن ما صحت الرواية به من إثبات القراء وجب المصير إليه وإن خالف أقوال البصريين ورواياتهم، وقد استقرى هذا اللسان البصريون والكوفيون فوجب المصير إلى ما استقروه ومن حفظ حجة على من لم يحفظ"[138]. والرأي الصحيح عنده أن القراءة سواء كانت متواترة أو شاذة أو غير ذلك إذا صح السند في روايتها عن القراء فإنه يأخذ بها ولو خالفت أقيسة البصريين والكوفيين، فالقراءة سنة متبعة، خلافا لابن الجزري.

UIN IMAM BONJOL PADANG

---

[136] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1845 ـ 1846

[137] خديجة الحديثي، أبو حيان النحوي، ص. 417

[138] المرجع السابق، ج. 1، ص. 714

وخلاصة القول أن صحة السند والرواية عند أبي حيان هما الأساس في قبول القراءة وإن خالفت أقيسة البصريين وغيرهم، وإنه يدافع عن القراء ولا يقبل تخطئة النحاة لهم.

بالنسبة إلى الحديث الشريف، لقد استشهد أبو حيان في الارتشاف باثنين وخمسين (52) حديثا، منها ثمانية وثلاثون حديثا للرسول صلى الله عليه وسلم، وأربعة لعمر بن الخطاب، واثنان للحارث بن عباد، وواحد لكل من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعائشة وعبد الله بن مسعود وسهيل بن حنيف وابن عباس رضي الله عنهما وعروة بن الزبير وأبي بكر الصديق[139]. ويتنوع استشهاد أبي حيان بالأحاديث النبوية على النحو التالي:

1) أحاديث استشهد بها وصرح فيها بقوله: "جاء في الحديث"، مثل قوله عند الحديث عن "بَيْدَ" في الاستثناء: "وتساوي (بَيْدَ) غير، وتضاف إلى أنّ وصلتها، وتقع في الاستثناء المنقطع، وفي الحديث (أنا أفصح من نطق بالضاء بَيْدَ أَنِّي من قريش واسترضعت في بني سعد)".[140]

2) أحاديث استشهد بها ولم يصرح فيها بأنها أحاديث، إنما ذكرها ضمن الكلام دون إشارة إلى ذلك، مثل قوله عن مَفْعَلَة: " وتبنى مفعلة من الاسم الثلاثي اللفظ أو

[139] نفس المرجع، ص. 49
[140] نفس المرجع، ص. 1545

الأصل لسبب كثرتها أو محلها، فمن الأول : الولد مبخلة مجبنة، (والولد مجهلة وكفر المنعم مخبثة)".[141]

3) أحاديث استشهد بها وكانت نقلا عن ابن مالك أى من خلال اقتباسه منه، مثل قوله عند الحديث عن حروف الجر بخاصة (في): " وذكر ابن مالك أنها تكون للتعليل، نحو قوله تعالى ﴿لمسّكم فيما أفضتم فيه﴾ وما روي في الأثر (دخلت امرأة النار في هرة حبستها) أى لأجلها".[142]

واستدل بالحديث الشريف في الرد على ابن مالك في مسألة الخلاف في جواز حذف اللام من خبر (إنْ) المخففة من الثقيلة إذ يقول: "ودعوى ابن مالك أنه إنْ كان بلفظ المضارع يحفظ ولا يقاس عليه، ليست بشيء وقد جاءت اللام محذوفة في قول الشاعر:

..... وإنْ مالكٌ كانت كرامَ المعادنِ

وفيما روي في الحديث: "إنْ كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّ الحلوى والعسل " أي : لَكِرام المعادن، ولَيحبُّ ".[143]

[141] نفس المرجع، ص. 505
[142] نفس المرجع، ص. 1726
[143] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1273

UIN IMAM BONJOL PADANG

واستدل أبو حيان أيضًا بما جاء في الأثر ومن ذلك استدلاله بكلام الإمام علي في ترجيح مذهب الجمهور في مسألة الخلاف في جواز حذف (الباء) من (أنْ) و(أنّ) في التعجب، وهو قوله عندما مرّ على عمار بن ياسر وهو ميت فمسح التراب عنه وقال: " أعزز عليَّ أبا اليقظان أنْ أراك صريعًا مجدّلاً ".[144]

أما كلام العرب فقد استدل أبو حيان بلغات العرب كثيراً، مثل ذلك ترجيحه مذهب الكسائي والكوفيين ومن تابعهم من البصريين في جواز إعمال (إنْ) النافية إعمال (ما) الحجازية، بقوله: "والصحيح جواز إعمالها، إذ قد ثبت ذلك لغة لأهل العالية نثرًا ونظمًا، ومن النثر " إنْ ذلك نافعك ولا ضارك "، و"وإنْ أحدٌ خيراً من احد إلا بالعافية "، وقال أعرابي: إنْ قائمًا، يريد : إنْ أنا قائمًا، حذف الهمزة ونقل حركتها إلى (نون) (إنْ) وأدغم".[145]

واستدل بالأمثال أيضًا ومن ذلك استدلاله بها في الرد على من قال إنه لا يجوز التعجب من (نامَ)، بقوله: "ومن عدّ (نام) فيها فليس قوله بصحيح، حكى سيبويه: ما أنومَه، وقالت العرب: (هو أنومُ من فَهْدٍ) و(أنومُ من غزال)".[146]

[144] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2067
[145] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1208
[146] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2084

UIN IMAM BONJOL PADANG

أما استدلاله بالشعر فقد استدل أبو حيان بشعر شعراء الجاهلية، ومن بينهم أصحاب المعلقات، واستدل بشعر المخضرمين والإسلاميين كذلك، وأما بأشعار المولدين فقد ذكر أشعارًا لمجرد الاستشهاد والتمثيل والاستئناس ولم يثبت بها قاعدة أو بنى عليه حكمًا، وكان يستدرك بعد ذكر كل بيت بأنه لا يعلم إن كان ممن يستشهد بشعرهم أم لا، أو إنْ كان عربيًا أم لا"[147]. ومن ذلك احتجاجه بقول طرفة بن العبد:

أعَمرَ بنَ هندٍ ما ترى رأيَ صِرْمةٍ لها سببٌ تَرعى به الماءَ والشجرْ

انتصارًا لمذهب أبي عبيدة وأبي محمد اليزيدي والأصمعي والجرمي والمازني والمبرد في مسألة الخلاف في تعيين الإضمار، والعطف على الفعل اللائق إذا كان الفعل غير صالح للعمل وتعيّن تقدير فعل بعد (واو المعية)، ردًا على مذهب الفراء ومن تابعه بقوله: "وما منعوه مسموع ".[148]

وردّ على السيرافي والزمخشري في مسألة الخلاف في خبر أنْ بعد (لو)، لزعمهم أنّ خبر (أنْ) بعد (لو) لا يكون إلا فعلاً محتجًا لذلك بقول عميرة بن طارق:

ولو أنها عُصْفورةٌ لَحَسِبتُها مُسَوَّمةً تدعو عَبيدًا وأزنَما

[147] نفس المرجع، ج. 1، ص. 54
[148] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1492

UIN IMAM BONJOL PADANG

ووصف ما ذهبوا إليه بأنه " وهم وخطأ فاحش ".[149]

وردّ على ابن مالك الذي أجاز قياس الجملة الحالية الفعلية ب(لما) على المنفية ب(لم) في جواز انفراد الضمير فيها بغير (واو) الحال بقول محمد بن أبي عيينة إذ قال: "ووجدت أن ذلك بغير (واو) في شعر من احتج بعض النحاة بشعره، ولا ادري هل يحتج بشعره أو لا يحتج، وهو عبد الله بن محمد بن أبي عيينة[150] قال:

أَبَعْدَ بلائي إذ وَجَدتُه طريحًا كَنَصْلِ السَّيفِ لمَّا يُرَكَّبِ "[151]

وفي الاستدلال بالشواهد الشعرية لقد اعتمد أبو حيان عليها اعتمادا كبيرا، ففي الكتاب (1472) بيتا من الشعر و (57) بيتا من الرجز، وقد كان يذكر أحيانا صدر البيت، وأحيانا عجزه، وأحيانا قطعة من الصدر أو العجز.[152]

UIN IMAM BONJOL
PADANG

ب- القياس

يوضح السيوطي أقسام القياس فيقول: " القياس في العربية على أربعة أقسام، حمل فرع على أصل، وحمل أصل على فرع، وحمل نظير على نظير، وحمل ضد على ضد، وينبغي

---

[149] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1901

[150] قال عنه ابن المعتز: "شعره أنقى من الراحة وليس فيه عيب وهو أحد المطبوعين الأربعة الذين لم يُرَ في الجاهلية والإسلام أطبع منهم، وهم : بشار وأبو العتاهية والسيد وأبو عيينة "، أنظر محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، تحقيق طه أحمد إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001)، ص. 290.

[151] المرجع السابق، ج. 3، ص. 1608

[152] نفس المرجع، مقدمة التحقيق، ص. 53 – 54

أن يسمى الأول والثالث قياس المساوى، والثاني قياس الأولى، والرابع قياس الأدون"[153]. ولا تقل أهمية القياس عند أبي حيان عن أهمية السماع، وتتضح أهمية القياس لديه بما يأتي:

1) إنه لا يأخذ برأي إذا لم يعضده سماع ولا قياس، مثال ذلك مخالفته لمن أجاز الجزم بعد حذف (الفاء) في النفي لأنه لم يرد به سماع ولا قياس، إذ يقول: "والصحيح أنّ الجزم بعد حذف (الفاء) في النفي لا يجوز، ولم يرد به سماع ولا يقتضيه قياس ".[154]

2) إنه قد يستدل بالسماع والقياس في ترجيحه النحوي، مثال ذلك ترجيحه لمذهب الكسائي ومن تابعه في جواز تقديم التمييز على الفعل المتصرف الذي تمييزه منقول، بقوله: "وهو الصحيح لكثرة ما ورد من الشواهد على ذلك، وقياسًا على الفضلات".[155]

3) إذا اجتمع السماع والقياس فهو يرجح السماع على القياس، مثال ذلك ترجيحه مذهب الجمهور الذي منعوا فيه تأكيد فعل التعجب بقوله :" والقياس يقتضيه لكنه لم يُسمع من العرب"[156]،مخالفًا في ذلك الجرمي الذي أجاز تأكيد فعل التعجب.

UIN IMAM BONJOL PADANG

[153] جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص. 85
[154] المرجع السابق، ج. 4، ص. 683
[155] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1635
[156] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2070

4) أبو حيان لا يقيس على القليل النادر بل يقيس على الكثير المسموع، مثال ذلك ردّه على ابن مالك الذي أجاز حذف موصوف (أي) بقوله: "وهذا عند أصحابنا في غاية الندور"[157]. ومن العبارات التي استخدمها في هذا المجال قوله: "وهو من القلة بحيث لا يقاس عليه "[158]، " والصحيح المنع، وهذا يحفظ ولا يقاس عليه"[159]، " وليس بمشهور ".[160]

5) يرى أبو حيان أنّ قلة الاستعمال لا تخرج عن القياس، وأنّ كثرة الاستعمال لا توجب القياس، فقد يقاس على القليل لموافقته للقياس، ويمتنع القياس على الكثير لمخالفته له، مثال ذلك ترجيحه لمذهب سيبويه في جواز إعمال (لا) النافية عمل (ما) مخالفًا المبرد والأخفش والزجاج في ذلك بقوله: "والصحيح سماع ذلك لكنه في غاية الشذوذ والقلة "[161]، ورجح كذلك المذهب القائل بجواز أن تتصدر (كم) الخبرية، لأنها لغة وإن كانت قليلة. ويقول: "واضطُرِب في القياس على هذه اللغة،

UIN IMAM BONJOL PADANG

[157] نفس المرجع، ج. 2، ص. 1037
[158] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1727
[159] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2048
[160] نفس المرجع، ج. 4، ص. 2225
[161] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1208

فقيل : هي من القلة بحيث لا يُقاس عليها، والصحيح أنه يجوز القياس عليها لأنها لغة ".[162]

ج- الإجماع

إجماع النحاة في مسألة ما موضع تقدير عند أبي حيان فهو يأخذ به في اختيار أو ترجيح أو رد، والدليل على ذلك أنه إذا ظهر له أنّ أحدًا من النحاة خالف في مسألة ادّعى بعضهم الإجماع فيها فإنه يرد على من يدّعي الإجماع في المسألة بدليل هذا المخالف، وذلك في نحو ردّه على ابن مالك الذي ادّعى الإجماع في إعمال وإهمال (ليتما)، وذلك أنه وجد للفراء له رأي مخالف في هذه المسألة فصحّ عند أبي حيان عدم الإجماع فيها، إذ يقول: "ودعوى ابن مالك الإجماع بجواز الإعمال والإهمال في (ليتما) يبطلها مذهب الفراء "[163]، ويقول في باب العدد: "ودعوى الإجماع في ثماني عشرة بالإضافة أنه لا يجوز إلا في الشعر باطلة، بل تقدّم النقل عن الكوفيين أنهم أجازوا إضافة الصدر إلى العجز مطلقًا ".[164]

UIN IMAM BONJOL PADANG

[162] نفس المرجع، ج. 2، ص. 784
[163] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1285
[164] نفس المرجع، ج. 2، ص. 760

ومن استدلاله بالإجماع مخالفته للزجاج في باب القسم إذ يقول: "وحروف القسم: الباء والواو والتاء واللام ومن وأيمن في مذهب الزجاج، وهو قول مخالف لإجماع البصريين والكوفيين ".[165]

ومن العبارات التي استخدمها في هذا المجال قوله: " وهذا القول مخالف لما اتفق عليه الكوفيون والبصريون "[166]، "وهو قول مخالف لما نقل الأئمة "[167]، " وهو الذي تقتضيه قواعد البصريين "[168]، "فنصوص الجماعة على أنّ ذلك لا يختص "[169]، " ما ذهبا إليه لا يعرفه كبراء النحويين "[170]، " وليس هذا بقول بصري ولا كوفي "[171]، " وإطلاق النحاة يخالفه"[172]، " والذي تقتضيه القواعد المنع "[173]، " مخالفة لإجماع البصريين والكوفيين ".[174]

د- استصحاب الحال

UIN IMAM BONJOL
PADANG

[165] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1765
[166] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1538
[167] نفس المرجع، ج. 5، ص. 2225
[168] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1870
[169] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1876
[170] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1691
[171] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1658
[172] نفس المرجع، ج. 5، ص. 2229
[173] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1953
[174] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1943

لقد اعتمد أبو حيان على هذا الدليل في ترجيحه النحوي وسماه الأصل أو بلفظ البساطة، وهذه من أمثلة توضيحية تؤكد اعتماد أبي حيان عليه في ترجيحه للمسائل الخلافية ومن ذلك مثلاً ما ذكره في الأصل في البساطة وتوضيحه فيما يأتي :

1) في الأسماء :

مثال ذلك قوله في (كم) الخبرية أنه اسم " للتكثير في مقابلة ربّ للتقليل، بسيط، خلافًا للكسائي والفراء، زعمًا أنها مركبة من (كاف) التشبيه، و(ما) الاستفهامية".[175]

2) في الحروف :

مثال ذلك قوله في (لعل): "ولعل عندي بسيطة لا مركبة ولامها الأولى أصلية عند الكوفيين وأكثر النحاة، وقيل: زائدة للتكثير، وقيل هي لام الابتداء ".[176]

وكذلك (كأنّ) فهي عنده حرف بسيط لا مركب خلافًا للكوفيين[177]، و(إلا) عنده بسيطة[178]، و(منذ) بسيطة[179]، و(مهما) بسيطة لا مركبة[180]، و(كَلا) بسيطة[181]، و(هلُمّ) بسيطة وليست مركبة.[182]

[175] نفس المرجع، ج. 2، ص. 776
[176] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1281
[177] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1238
[178] نفس المرجع، ج. 3، ص. 1318
[179] نفس المرجع، ج. 4، ص. 1415
[180] نفس المرجع، ج. 5، ص. 1863

UIN IMAM BONJOL PADANG

وبالنسبة إلى موقف أبي حيان من العلة فقد تكلم في مقدمة ارتشافه عن موقفه الرافض للإيغال في جانب التعليل النحوي، فيقول: " رأيت أن أجرد أحكامه إلا في النادر من الاستدلال والتعليل"[183]، وقد دعا أبو حيان في غير موضع إلى عدم الاكتراث بالتعليل، لأنه لا يجدي نفعا، وظهر موقفه هذا أثناء عرضه على النحو التالي:

أ- تعرض أبو حيان في باب المستثنى بشكل سريع إلى أقوال العلماء في علة نصب المستثنى، ثم قال: "ومثل هذا الخلاف لا يجدي كبير فائدة، وهو كالخلاف في رافع المبتدأ والخبر، ورافع الفاعل، وناصب المفعول، وإنما الخلاف الذي يجدي هو فيما أدى إلى حكم لفظي أو معنى كلامي".[184]

ب- وكذلك في باب المنصوبات، يقول أبو حيان: "وكون المفاعيل خمسة هو مذهب البصريين، وزعم الكوفيون أنه ليس للفعل إلا مفعول واحد وهو المفعول به، وباقيها مشبه بالمفعول به. وهذا الخلاف لا يجدي كبير فائدة".[185]

UIN IMAM BONJOL PADANG

---

[181] نفس المرجع، ج. 5، ص. 2370
[182] نفس المرجع، ج. 5، ص. 2305
[183] نفس المرجع، ص. 4
[184] نفس المرجع، ص. 1506
[185] نفس المرجع، ص. 1351

وأما موقف أبي حيان من العامل – على الرغم من تعسف ابن مضاء وتطرفه في موقفه من العامل ودعا إلى إلغائه، لأن المرفوع عند رأيه مرفوع بنفسه، والمنصوب منصوب بنفسه، ومدى تكلف النحاة واختلافهم في تحديد العامل — فإن أبا حيان وقف موقفا وسطا يدعم نظرته التطبيقية للنحو، إذ إنه لم يتأثر بدعوة ابن مضاء في إلغاء العامل وعدم القول فيه، بل كان يدعو إلى إلغاء الخلافات في تقدير العامل لعدم ترتب حكم نطقي عليها. بل يمكن القول إن أبا حيان كان منحازا للنحاة، فارتشافه تعددت فيه المواضع التي تحدث فيها عن العوامل المعنوية واللفظية، لكنه يحترز دائما عندما يختلف العلماء في تحديد هوية العامل، فيؤكد على أن مثل هذه الخلافات لا تجدي نفعا.

UIN IMAM BONJOL
PADANG